التوحيد
والوازع الديني

التوحيد
والوازع الديني

الكاتبة
عفراء بسام دجاني

حقوق الطبع محفوظة
All Rights Reserved
الطبعة الأولى ١٤٤٥ هـ ٢٠٢٣ م

دار السديمي
للنشر و التوزيع

ELSEDEMY
GUIDING YOU FORWARD
FOR PUBLISHING & DISTRIBUTION

جمهورية مصر العربية
الغربية / طنطا - شارع سعيد
مع الاشرف بجوار بنك saib
الهاتف : 0403295966 - 0102622556
البريد الإلكتروني:info@darelsedemy.com
https://www.Darelsedemy.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى من كان لي سنداً وعوناً عند الشدائد طوال عمري، إلى

الرجل الأبرز في حياتي

(أبي العزيز)

إلى القلب المعطاء

(أمي الحبيبة)

إلى من شد الله بهم عضدي فكانوا خير معين

(إخواني وأخواتي)

إلى كل من ساعدني ولو بحرف في حياتي الدراسية...

إلى هؤلاء جميعاً: أهديكم هذا العمل

الشكر والتقدير

أتوجه بالشكر لله الذي منحني القوة وأتم عليَّ نعمته، له كل الحمد والشكر.

وأعبر عن امتناني وشكري لوالدي ووالدتي، إن الكلمات عاجزة عن وصف حبي لهما وكل ما أحمله من مشاعر لهما، بارك الله لهما في عمرهما، وألبسهما ثوب العافية في قلبهما، وروحهما، وعقلهما، وجسدهما.

نبذة عن الكتاب

يتناول هذا الكتاب الحديث عن التوحيد الذي هو أساس الدين الإسلامي، وذلك لأن وحدانية الله تعالى هي أهم صفاته، لأنها تعني أنه لا معبود بحق إلا الله، كما يتناول الكتاب علاقة التوحيد بالوازع الديني، والأثر المترتب على هذه العلاقة، وقد تناولت الكاتبة الحديث باستفاضة شديدة عن مفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة مقارنة بمفهومه عند المتكلمين، كما تناولت الحديث عن الجوانب التالية:

حقيقة التوحيد، وأدلته من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، مدعمًا بأقوال بعض المفسرين، وبيان أنواع التوحيد، وعلاقة كل نوع بالآخر، وبيان مفهوم الوازع، وأنواعه، وتفصيل الحديث عن الوازع الديني، وأسباب ضعفه، وعوامل قوته، ثم العلاقة بين التوحيد والوازع الديني، والآثار المترتبة على هذه العلاقة.

كما تناول الكتاب العلاقة بين العبادات والتوحيد، وتقوية الوازع الديني، مما جعل الكتاب غني بالمعلومات القيمة التي تفيد القراء والباحثين.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
الفصل الأول **مفهوم التوحيد في اللغة والاصطلاح**	
مفهوم التوحيد في اللغة	٤
الفرق بين لفظ الواحد والأحد	٥
مفهوم التوحيد في الاصطلاح	٧
مفهوم التوحيد عند أهل السنة	٩
مفهوم التوحيد عند المتكلمين	١٥
الفصل الثاني **تفسير التوحيد وأركانه في الكتاب والسنة**	
أدلة التوحيد في الكتاب	٢٠
سبب نزول السورة	٣٨
أدلة التوحيد في السنة النبوية	٤٨
الفصل الثالث **كتابات حول حقيقة التوحيد وأنواعه المختلفة والعلاقة بينهم**	
حقيقة التوحيد	٥٣
التلازم بين التوحيد والشرع	٥٨
أنواع التوحيد	٦٣
أولًا: توحيد الربوبية	٦٥
أدلة وجود الخالق	٦٩
ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية	٧٣

الموضوع	الصفحة
ثانيًا توحيد الألوهية	٧٣
أركان توحيد الألوهية	٧٧
توحيد الأسماء والصفات	٧٨
ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات	٨٢
العلاقة بين أنواع التوحيد	٨٣
الفصل الرابع **قراءة تحليلية للوازع الديني**	
مفهوم الوازع الديني في اللغة	٩٠
مفهوم الوازع الديني في الاصطلاح	٩٣
المفاهيم المرتبطة بالوازع الديني	٩٦
أولًا: الضمير	٩٦
ثانيًا: الحياء	٩٧
ثالثًا: الخوف والرجاء	٩٩
رابعًا التقوى والورع	١٠١
خامسًا: العصمة	١٠٢
سمات الوازع الديني	١٠٥-١١٠
الفصل الخامس **أنواع الوازع الديني الأساسية**	
المقدمة	١١١
أنواع الوازع	١١١
الفرق بين الوازع الديني والوازع الجبلي	١١٦
أنواع الوازع الديني	١١٧

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس: مكانة الوازع في الشريعة الإسلامية وأهميته في تنظيم حياة المسلم	
مكانة الوازع في الشريعة الإسلامية	١١٩
مكانة الوازع في القرآن الكريم	١٢٠
مكانة الوازع الديني في السنة النبوية	١٢١
مكانة الوازع الديني في اجتهادات الصحابة والفقهاء	١٢٤
الفصل السابع **تحليل العوامل المؤثرة في ضعف الوازع الديني**	
ضعف الوازع الديني	١٢٧
عوامل ضعف الوازع الديني	١٢٨
الانقطاع عن ممارسة الطاعة	١٢٨
سوء التربية	١٢٨
عوارض الضعف البشري	١٣٠
الفصل الثامن **تعزيز الوازع الدين في حياتنا**	
المقدمة	١٣٣
السلام بين الناس	١٣٣
الإيمان باليوم الآخر	١٣٤
مراقبة النفس	١٣٤
الفصل التاسع **دور التوحيد في تنمية الوازع الديني وتعزيز الإيمان**	
أولا: طبيعة العلاقة بين التوحيد والوازع الديني	١٣٧

الموضوع	الصفحة
ثانيًا: دور التوحيد في تنمية الوازع الديني	١٣٨
الوازع الديني وتطبيق الشريعة	١٤٢
يعزز الوازع الديني التوجيه الخلقي	١٤٣
يعزز الوازع الديني الإيمان في نفوس المؤمنين	١٤٤
الوازع الديني والتوحيد يعززان مفهوم الأخلاق في المجتمع	١٤٨
يعزز التوحيد تنمية مفهوم الإحسان	١٥٢
الوازع الديني والدعوة إلي الله	١٥٢
أثر التوحيد والوازع الديني في تنمية الفرد المسلم	١٥٥
التوحيد والوازع الديني في تنمية أسباب النجاح والفلاح وانشراح الصدر وزوال الهم	١٥٧
تنمية شعور الرقابة	١٥٨
التوحيد والوازع الديني في التربية	١٥٩
أثر الوازع الديني في الإصلاح الفردي وترسيخ مفهوم الأمن النفسي	١٦٠
التوحيد والوازع الديني في مواجهة المشكلات الفكرية	١٦١
الوازع الديني وعلاقته بدرء المفاسد	١٦٤
خاتمة الكتاب	**١٦٦**
المراجع والمصادر	**١٧٢**

المقدمة

المقـــدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الموجود قبل كل موجود، والباقي فلا يعتريه فناء، حمدًا ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، والسراج المنير سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن لكل بناء أساس وأركان يبنى ويعتمد عليها، فإن كان الأساس قوي كان البناء قويًا، ولو كان الأساس ضعيف كان البناء ضعيفًا، والتوحيد هو عماد الدين وأساسه، وركنه الركين وأصله الأصيل؛ وذلك لأنه لو طبق إنسان جميع الشرائع والعبادات ولم يعتقد ولا يعترف بوحدانية الله تعالى، فلا تغن عنه هذه العبادات والشرائع شيئًا، ولا إيمان له لأن بنائه دون أساس.

فالتوحيد هو أصل العبادات لأن التوحيد معناه إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وإخلاص التوكل عليه قال تعالى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة: ٥] بل هو أصل هذا الكون، إن كلمة التوحيد هي الكلمة التي قامت عليها السماوات والأرض، وهي الفطرة التي فطر الله عليها خلقه، قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: ٥٦] أي ما خلقتهم إلا من أجلي توحيدي، والتوحيد هو الكلمة التي جاهد من أجلها النبي -صلى الله عليه وسلم- وترك وطنه وهاجر، واستشهد من أجلها شهداء الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وللتوحيد أثر بالغ الأهمية على تقوية الوازع الذي يعمل على غرس العقائد الإيمانية السليمة داخل النفوس، ويجعل من الإنسان ذا ضمير حي يحاسب نفسه على الصغائر والكبائر، ويلوم نفسه على عدم الإكثار من فعل الخير، كما يلوم نفسه إذا فعل خطأ، ويتجنب الشرور والآثام مخافة الله تعالى.

وتكمن أهمية تقوية الوازع الديني في أن الله -سبحانه وتعالى- ما شرع الشرائع إلا لتقوية هذا الجانب إن الله تعالى لم يشرع التكاليف سدى، ولكن لعلة وحكمة، وهي غرس مكارم الأخلاق وتقوية الوازع الديني، فلو تتبعت القرآن الكريم في أوامره بممارسة الشرائع لوجدت أن الهدف منها هو تعزيز جانب الوازع الديني والأخلاقي.

فشَرَعَ الله الصلاة وأمر بها وبيّن أن الهدف منها أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال تعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}** [العنكبوت: ٤٥]، وأمرنا الله بالزكاة والصدقة وهو بذلك يقوي من جانب التكافل الاجتماعي بين بني البشر، ويطهر القلوب من الحقد والكبر، قال تعالى: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}** [التوبة: ١٠٣].

وأمرنا بالصيام، لأن الصيام هو العبادة التي تقوى جانب التقوى والخوف من الله تعالى، فالصائم ممتنع عن المفطرات في خلواته خوفًا من الله ومرضاة له، إذ لو كان العبد يخشى الناس ولا يخشى الله تعالى لفطر في خلواته وأظهر الصيام أمام الناس، ولكن امتناع العبد من المفطرات في الخلوات لدليل على تقواه لله وخشيته وحده، فالصيام يقوي

جانب التقوى عن المسلم قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة: ١٨٣].

فالعبادات لها أثر أخلاقي من لم يتأثر بها فلا ثواب له، لأن الهدف من العبادة تحقيق الأثر الناتج عنها، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "ربَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وربَّ قائم حظه من قيامه السهر" (١) أي: لا ثواب له لأنه لا وازع له، ومن لا وازع له فليفعل ما يشاء، والوازع الديني أقوى من أي وازع آخر؛ وذلك لأن المسلم على عقيدة بأن الله مطّلع عليه، وأنّ هناك ملائكة تُحصي عليه كل شيء، قال تعالى: **{مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}** [ق: ١٨].

ويهدف هذا الكتاب إلى معرفة ماهية التوحيد وحقيقته عند أهل السنة والجماعة والمتكلمين، وبيان أنواع التوحيد وعلاقة كل نوع بالآخر، كما يهدف إلى معرفة الوازع، وبيان أنواعه، وماهية الوازع الديني، وكيفية تعزيز هذا الوازع، وبيان أسباب ضعفه، ومعرفة أهم سماته، كما يتناول الكتاب تسليط الضوء على طبيعة العلاقة بين التوحيد والوازع الديني، والآثار المترتبة على هذه العلاقة.

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، ت: محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت، كتاب الصيام، باب نفي ثواب الصوم عن الممسك عن الطعام والشراب مع ارتكابه ما زجر عنه غير الأكل والشرب، ٣/ ٢٤٢، رقم (١٩٩٧).

الفصل الأول

مفهوم التوحيد في اللغة والاصطلاح

مفهوم التوحيد في اللغة:

التوحيد في اللغة لفظ مشتق من (وَحَدَ) فالواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، ومنه الوحدة، وكان يقال: وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله [١]، والواحد: هو أول عدد الحساب، والوَحَدُ والأحد: كالواحد همزته بدل من واو، والأحد أصله الواو، وروى الازهري عن أبي العباس أنه سئل عن الآحاد: أهي جمع الواحد؟ فقال: معاذ الله ليس للأحد جمع، ولكن إن جعلت جمع الواحد، فهو محتمل [٢]، فلفظ الأحد أبلغ من الواحد؛ لذا عندما وصف الحق –سبحانه وتعالى– نفسه بالواحدنية في سورة الإخلاص عبر بالأحدية دون الواحدية، قال تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** [الإخلاص: ١] ومنه التوحيد: وهو الإيمان بالله وحده، ومنه الله الأوحد المتوحد: ذو الوحدانية [٣].

ومنه التوحد: قال أبو منصور: الواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى، وقيل: الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هاذين الوصفين إلا الله –عز وجل– وقال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الواحد، قال: هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر [٤]، والأحد: اسم من

---

(١) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة: "وحد"، ج٦ ص٩٠.

(٢) انظر ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة: "وحد"، ج٣ ص٤٤٦ وما بعدها.

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مادة: "وحد"، ص٣٢٤.

(٤) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: جماعة من المختصين، الكويت، إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مادة: "وحد"، ج٩ ص٢٦٩.

أسماء الله الحسنى، ومعناه: الفرد الذي لا شبيه له ولا نظير، المنفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته [١].

فالواحد: هو أول عدد الحساب وقد بني على انقطاع النظير وعوز المثل، تقول صلينا وحدانا أي منفردين جمع واحد، وجعله في قبر على حدة أي منفردًا وحده، رأيته وحده، أي منفردًا، وتوحد برأيه: أي تفرد، ومتوحد: أي منفرد لا أحد يؤنسه، فالمعنى المحوري لهذا اللفظ هو: "انفراد الشيء فلا يكون معه مثله" وكل ما في القرآن الكريم من هذا التركيب هو بمعنى الانفراد الصريح [٢].

الفرق بين لفظ الواحد والأحد:

والفرق بين الواحد والأحد هو أن الأحد هدفه نفي ما يذكر معه من الأعداد، اما الواحد فهو اسم لمفتتح العدد، وأحد يصلح للكلام في موضع الجحود، وواحد في موضع الإثبات، يقال: ما أتاني منهم أحد، فمعناه لا واحد أتاني ولا اثنان، وإذا قلت جاءني منهم واحد فمعناه أنه لم يأت منهم اثنان، والواحد بني على انقطاع النظير وعوز المثل، والوحيد بني على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من طريق بينونته [٣]، ويجوز أن يوصف الشيء بأنه واحد، أما أحد فلا يوصف به إلا الله

(١) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، مادة: "وحد"، ج٣ ص٢٤١٠.
(٢) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م، مادة: "وحد"، ج١ ص٣٨٧.
(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: "وحد"، ج٣ ص٤٤٨.

تعالى، لخلوص هذا الاسم الشريف له –جل ثناؤه– وتقول وحدت الله، أو أحدت الله، وهو الواحد والأحد –سبحانه وتعالى– [١].

وقال الزجاج: إن الفرق بين الواحد والأحد يكمن في أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط، ولفظ الأحد يفيده بالذات والمعنى، ولهذا قال تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** أراد المنفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته تعالى الله علوًا كبيرًا [٢].

فلفظ (أحد) يعبر عن الانفراد المطلق، كما في قوله تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}**، يعني أن المبالغة في تعبير (أحد) هنا عن الوحدانية تتمثل في أنها أزلية، وهذا وجه جيد، لكن هناك وجها آخر لهذه المبالغة يؤخذ من تفسير الأحد بالمنفرد هو التفرد أي تفرده سبحانه بالتصرف في كل أمور ملكه ومخلوقاته، كما قال سبحانه: **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}** [الأعراف: ٥٤] وذلك بالإضافة إلى التفرد الذاتي، في قوله تعالى: **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ}** [التوبة: ٦] أي واحد [٣]، وقال ابن كثير: "ولا يطلق هذا اللفظ –أحد– على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله"[٤].

---

(١) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة "وحد"، ج٩ ص٢٦٩.
(٢) انظر الزجاج، إبراهيم بن السري، تفسير أسماء الله الحسنى، ت: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، د.ط، د.ت، ص٥٨.
(٣) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "أحد"، ج١ ص٣٨٨.
(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين شمس الدين، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ج٨ ص٤٩٧.

مفهوم التوحيد في الاصطلاح:

التوحيد اصطلاحًا:

قال أبو هلال العسكري: "والواحد يفيد الانفراد في الذات أو الصفة...، وتقول الله واحد تريد أن ذاته منفردة عن المثل والشبه" (١).

وعرفه السفاريني بأنه: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالًا، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه، ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، فهو الخالق دون من سواه" (٢).

وعرفه الشيخ عبد الرازق عفيفي بأنه: "تفرد الله بالربوبية والألهية، وكمال الأسماء والصفات" (٣).

وعرفه السعدي بأنه: "العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة" (٤).

وقال عن علم التوحيد: "هو علم يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة، والملائكة

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. الفروق اللغوية. ت: محمد إبراهيم سليم، القاهرة - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، ص١٤٠.

(٢) السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، لوامع الأنوار البهية، دمشق - مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج١ ص٥٧.

(٣) عفيفي، عبد الرزاق. مذكرة التوحيد. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ط١، ١٤٢٠هـ. ص: ٣.

(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد بشرح كتاب التوحيد، ت: المرتضي الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣، ج١ ص١٨.

الأطهار، ويوم البعث والجزاء، والقدر والقضاء، وفائدته تصحيح العقيدة، والسلامة في العواقب، ونيل السعادة في الدارين" (١).

وقال الجرجاني يقصد بالتوحيد: "ثلاثة أشياء معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأضداد عنه جملة" (٢).

وعُرف اصطلاحًا بأنه: "إفراد الله بالعبادة، أي تعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، لا تشرك به نبيًا مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا، ولا رئيسًا ولا مَلَكًا، ولا واحد من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا ورغبة ورهبة"، وهناك تعريف أعم للتوحيد هو: "إفراد الله سبحانه بما يختص به" (٣).

وعرفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه: "إفراد الله بالعبادة وإثبات اتصافه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، وتنزيهه عن النقائص والحدوث ومشابهة المخلوقات" (٤).

وعرفه الشيخ محمد عبده بأنه: "علم يبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم" (٥).

---

(١) عفيفي، عبد الرزاق. مذكرة التوحيد، ص٣ – ٤.
الجرجاني، علي بن محمد الزين الشريف، التعريفات، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٦٩. (٢)
(٣) فالح، عامر عبد الله، معجم ألفاظ العقيدة، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص١٠٤.
(٤) ابن عبد الوهاب، محمد، أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، ت: محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، مكة المكرمة – دار الحديث الخيرية، د.ط، د.ت، ص٥.
(٥) خير الله، محمد عبده بن حسن، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت، ص٥.

مفهوم التوحيد عند أهل السنة:

التوحيد عند أبي حنيفة: أي أن الله تعالى واحد لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنه لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، لا يشبه شيئًا من الأشياء، ولم يشبه شيء من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية [١].

والتوحيد هو أساس وعماد هذا الدين، فمن اعتقد وحدانية الله تعالى فهو على بينة من أمره، ومن أشرك مع الله تعالى غيره، فلا إيمان ولا دين له وإن قام وصام وزكى، فقبول العبادات مرتبط بالاعتقادات والنيات، فعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" [٢].

وقال العلماء: إن هذا الحديث ثلث الإسلام، ومنهم من قال: ربعه، وقال الشافعي –رحمه الله–: هذا الحديث يدخل في سبعين باب من أبواب العلم[٣]، وقد ذكر السيوطي أن هذه الأبواب عن طريق الإجمال، وقد عدّ أكثر من سبعين بابًا من الأبواب الفقهية تدخل فيها النية [٤]، وقال البيهقي: كون هذا الحديث ثلث العلم بأن كسب العبد لا يخرج

---

(١) النعمان، أبو حنيفة، الفقه الأكبر، الإمارات العربية – مكتبة الفرقان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص١٤.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ت: جماعة من العلماء، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة السلطانية، ١٣١١هـ، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ١/ ٦، برقم (١)
(٣) انظر العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٠هـ - ١٣٩٠م، ج١ ص١١.
(٤) انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٠هـ - ١٩٨٣م، ص٩.

عن ثلاث (القلب، واللسان، والجوارح)، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها؛ لأنها تُعد عبادة مستقلة وغيرها يحتاج إليها [١].

والتوحيد هو دعوة جميع الرسل اتفقوا جميعًا على أصل واحد، وهو عبادة الله -سبحانه وتعالى- وعدم الشرك به، فوحدانية الله تعالى هي جوهر الرسالات، فما من نبي إلا وقال لقومه اعبدوا الله، قال تعالى: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: ٥٩]

- وقال هود -عليه السلام- لقومه: **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: ٦٥]
- وقال صالح -عليه السلام- لقومه: **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: ٧٣]
- وقال شعيب -عليه السلام- لقومه: **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: ٨٥]
- وقال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء: ٢٥]

فأصل الرسالات واحد ولكن الاختلاف في الشرائع، قال تعالى: **{...لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...}** [المائدة: ٤٨] ولكن الدين واحد وهو الإسلام من لدن آدم -عليه السلام- إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...}** [آل عمران: ١٩] وقد أكد النبي -صلى الله عليه

(١) انظر العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١ ص١١.

وسلم- على هذا العقيدة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد" (١).

وقال الإمام النووي -رحمه الله-: "قال جمهور العلماء: إن أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف، ودينهم واحد فالمراد به أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها" (٢) وقال ابن حجر: "ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: إن أزمنتهم مختلفة" (٣).

فالشرائع كلها اتفقت على إثبات التوحيد على كثرة عدد الرسل المرسلين، وكثرة كتب الله -عز وجل- المنزلة على أنبيائه، فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره، وسابقه ولاحقه، ومن خالف ذلك فجعل لله -عز وجل- شريكًا (٤).

ولهذا كان التوحيد أول واجب على المكلف -البالغ العاقل- فيشهد ويعتقد أنه لا إله إلا الله، وليس النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما ادعى أرباب الفلسفة والكلام، فأئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم، ٤/ ١٦٧، رقم (٣٤٤٣)

(٢) النووي، أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٥ ص١٢٠.

(٣) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٦ ص٤٨٩.

(٤) انظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، لبنان – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٥.

البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه، ولكن يؤمر بالطهارة والصلاة، إذا بلغ أو وصل سن التمييز [١].

ولأهمية التوحيد في عقيدة المسلم وضع شيخ الإسلام ابن تيمية قواعد لتقرير هذه الحقيقة؛ فقال رحمه الله: إن كل مخلوق فقير يحتاج إلى ما ينفعه ودفع ما يضره؛ لذلك فلا بد من أمرين:

- **الأول**: معرفة المطلوب المحبوب الذي ينتفع به.
- **الثاني**: وجود المعين الموصل المحصل لذلك المطلوب والمانع من دفع المكروه.

ثم قال رحمه الله: وهذان هما الشيئان المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء، **الأول**: أمر محبوب مطلوب الوجود.

- **الثاني**: أمر مكروه مبغض مطلوب عدمه.
- **الثالث**: الوسيلة إلى حصول المطلوب المحبوب.
- **الرابع**: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأربعة أمور ضرورية للعبد، بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها؛ وبناءً على ما تقدم، فإن الله تعالى هو الذي يحب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، وكذلك هو المعين على المطلوب وما عداه يكون مكروه، وهو المعين على دفع المكروه، فهو سبحانه وتعالى جامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه [٢].

---

(١) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ت: جماعة من العلماء، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٩، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص٧٨.

(٢) انظر ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج١ ص٢٢.

ويتبين لنا من كلام ابن تيمية أن حقيقة التوحيد عنده أن يعتقد المسلم أن النافع والضار هو الله تعالى، وهو المعين على جلب المنفعة، ودرء المفسدة؛ وبذلك يتحقق لمسلم الحق معنى أنه لا معبود بحق إلا الله، وهذا معنى قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] فقال رحمه الله: إن العبودية تتضمن المقصود المطلوب على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب، فالأول معنى الألوهية والثاني معنى الربوبية (١).

ويقول ابن القيم في حقيقة التوحيد ومفهومه: إن التوحيد الذي دعت إليه الرسل –عليهم السلام– ونزلت به الكتب فهو نوعان، الأول: توحيد في المعرفة والإثبات، والثاني: توحيد في المطلب والقصد (٢)، وابن القيم هنا يسير على نهج شيخ الإسلام ابن تيمية في توحيد المطلب والمقصد، وقال: إن توحيد المعرفة والإثبات هو إثبات حقيقة ذات الله –تعالى– وصفاته وأفعاله وأسمائه، وعلوه، وكلامه، وتكليمه لمن شاء من عباده؛ وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح (٣).

– فقال تعالى: **{الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}** [آل عمران: ١– ٢]

(١) انظر ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، ج١ ص٢٢، وانظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت – دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج١ ص٣١.

(٢) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين في منازل السائرين، الرياض، عطاءات العلم، ط٢، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م، ج٤ ص٤٤٩.

(٣) انظر ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين في منازل السائرين، ج٤ ص٤٤٩.

- وقال تعالى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: ٥]
- وقال تعالى: **{الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [السجدة: ١- ٢]
- وقال تعالى: **{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [الحديد: ٣].
- وقال تعالى: **{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [الحشر: ٢٢- ٢٤].

وقال المقريزي عن حقيقة التوحيد: أن يتخذه العباد محبوبًا مألوهًا، ويفردونه بالحب، والخوف، والرجاء، والإخبات، والتوبة، والنذر، والطاعة، والطلب والتوكل، ونحو هذه الأشياء [١]، وعليه فلا معبود إلا الله، ولا محبوب إلا الله، ولا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا له، ولا توبة من ذنب إلا لله، ولا نذر إلا له، ولا طلب إلا منه، ولا توكل إلا عليه؛ وهذا يؤخذ من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنهما-: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم

(١) المقريزي، أحمد بن علي، تجريد التوحيد المفيد، ت: طه محمد الزيني، المدينة المنورة – الجامعة الإسلامية، د.ط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٥.

أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (١).

وقال المباركفوري في شرحه لهذا الحديث: اسأل الله تعالى لأنه وحده القادر على الإعطاء والمنع، ودفع الضرر، وجلب النفع، واستعن به وحده في الطاعات وغيرها من الأمور الدنيوية والأخروية، فإنه المستعان وعليه التكلان (٢).

فحقيقة التوحيد أن يرى المسلم الأمور كلها من الله –تعالى– دون الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فالخير والشر منه تعالى، وهذا الفهم يثمر في العبد التوكل على الله، وترك الخلق فلا يشكو أحد، كما يثمر الرضا عن الله –تعالى– والتسليم لحكمه وقضاءه، وهذا محض الإيمان بالقضاء والقدر (٣).

وقال السفاريني في مفهوم التوحيد:

أول واجب على العبيد معرفة الإله بالتشديد بأنه واحـــد لا نظيرله ولا شبه ولا وزير (٤).

وقال السفاريني في مفهوم التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة مع الاعتقاد الجازم بانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصر – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/ ٦٦٧، برقم (٢٥١٦)

(٢) انظر المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت – دار الكتب العلمية، د.ط، ج٧ ص١٨٦.

(٣) انظر المقريزي، أحمد بن علي، تجريد التوحيد المفيد، ص٦.

(٤) السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، العقيدة السفارينية، ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الرياض – مكتبة السلف، ط١، ١٩٩٨م، ص٥١.

من الوجوه، ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، فهو الخالق دون من سواه، وإنما كانت العلوم كالفرع لعلم التوحيد؛ لأنه أشرف العبادات وأفضل الطاعات، وشرط في صحة كل عبادة وطاعة، وشرط لقبول الأعمال، فهو معرفة ذي العظمة والجلال، فمن لم يوحد المعبود فكل عمله مردود [١].

وقال الشيخ محمد عبده عن مفهوم التوحيد: هو الاعتقاد بأن الله واحد لا شريك له، وسُمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنهى كل قصد، وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– كما تشهد به آيات الكتاب العزيز.

ويتلخص لنا أن مفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة هو العلم بأن الله واحد لا شريك له، وأنه وحده المستحق للعبادة ولجميع المحامد، وأنه وحده الذي يُلجأ إليه وقت الحاجة، ونتوكل عليه.

(١) انظر السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، لوامع الأنوار البهية، ج١ ص٥٧.

مفهوم التوحيد عند المتكلمين:

التوحيد عند المعتزلة [١]: هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا، على الوجه الذي يستحقه والإقرار به، ولا بد من اعتبار هذين الشرطين، العلم والإقرار جميعًا [٢].

فالمعتزلة أرادوا أن ينزهوا الله عن جميع النقائص، لدرجة أنهم نفوا القول بالصفات لئلا يتعدد القدماء، قال الشهرستاني: "والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد: القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته؛ ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا بعلم، وقدرة، وحياة؛ هي صفات قديمة، ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية، واتفقوا على أن كلام محدث مخلوق في محل"[٣]

التوحيد عند الماتريدي: هو العلم بأن الله واحد لا شبيه له، دائم قائم لا ضد له ولا ند[٤].

---

(١) المعتزلة: فرقة نشأت في القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء، وكان ممن يترددون على مجلس الحسن البصري، وكان الناس مختلفين في ذلك الوقت على حكم مرتكب الكبيرة، أهو كافر مخلد في النار؟ وكان هذا قول الخوارج، أم هو مؤمن ولا يضره مع الإيمان معصية كما لا يضره مع لكفر طاعة؟ وكان هذا قول المرجئة.

وتم طرح السؤال في مجلس الحسن البصري وهو ما حكم مرتكب الكبيرة؟ وقبل أن يجيب الحسن البصري، قام واصل بن عطاء وقال: إن مرتكب الكبيرة فاسق، والفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، ولكنه في منزلة بين المنزلتين، وذهب إلى سارية من سواري مسجد البصرة، وقال مقالته وانضم حوله جماعة من الناس، فقال الحسن البصري: اعتزلنا واصل، وسميَّ هو وأتباعه بالمعتزلة، انظر البغدادي، عبد القادر، الفرق بين الفرق، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م، ص٩٨، / وانظر الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مصر: مؤسسة الحلبي، د.ط، د.ت، ج١ ص٤٨، / وانظر الشكعة، مصطفى، إسلام بلا مذاهب، مصر: الدار المصرية اللبنانية، ط١١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص٣٩٤.

(٢) أحمد، عبد الجبار. شرح الأصول الخمسة. ت: عبد الكريم عثمان. القاهرة: مكتبة وهبة. ط١. ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص١٢٨.

(٣) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج١ ص٤٥.

(٤) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، التوحيد، ت: فتح الله خليف، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، د.ط، د.ت، ص٢٣.

التوحيد عند الرازي: هو أن الحق –سبحانه وتعالى– واحد باعتبارين، الأول: أنه ليست ذاته مركبة من اجتماع أمور كثيرة، والثاني: أنه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لوجود جميع الممكنات (١).

وقال ابن تيمية عن توحيد المتكلمين: إن غرض المتكلمين أن يقرروا التوحيد في كتب الكلام والنظر ويجلعون التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث: وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله، حتى قد يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع (٢).

ونستخلص من ذلك كتب المتكلمين تقرر نوعين فقط من التوحيد هما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، على أن تقريرهم لتوحيد الصفات لا يخلو من انحراف أو بدعة؛ فكل فرقة من المتكلمين تقر من الصفات ما تستسيغه عقولهم وتنكر بقية الصفات– تنزيها الله زعموا والمتكلمون بذلك مخالفون لمنهج الكتاب والسنة من وجهين؛ أما الوجه الأول فإهمالهم لتوحيد العبادة الذي هو الغاية من خلق الجن والإنس والخلق أجمعين، وأما الثاني فهو ظنهم أن توحيد الله عز وجل إنما

(١) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٤ ص١٤٥.
(٢) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد السلام، التمرية، ت: محمد بن عودة السعودي، الرياض: مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص١٨٠.

يتحقق بإثبات الربوبية الله تعالى وحده ونفي صفاته، ولذلك جاءت تقريرا المتكلمين لمعنى الواحد والأحد ولكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" خاطئة مجانبة للصواب بعيدة عن روح الكتاب والسنة و ما كان عليه سلف الأمة في قرونها المفضلة؛ فالتوحيد عند الجهمية أتباع الجهم بن صفوان نفي أسماء الله تعالى وصفاته كلها وجعلها من باب المجاز (١).

(١) الشهراني، نورة محمد مشبب. الرد على المتكلمين في بيان معنى التوحيد دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة. مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية. المجلد: ٣٢، العدد ١٢٥، ٢٠٢١م. ص:١١.

الفصل الثاني

تفسير التوحيد وأركانه في الكتاب والسنة

أدلة التوحيد في الكتاب:

إن الله -سبحانه وتعالى- أرسل رسله بالرسالات التي أساسها وجوهرها التوحيد ليقيم الحجة على الناس، قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٦٥].

وأدلة التوحيد في القرآن الكريم كثيرة منها قوله تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٦٣].

فالحق -سبحانه وتعالى- يوجه البشر إلى حقيقة إيمانية لا يجب كتمانها وهي أمر التوحيد، قال القرطبي: "لما حذر تعالى من كتمان الحق بين أن أول ما يجب إظهاره ولا يجوز كتمانه أمر التوحيد، ووصل ذلك بذكر البرهان، وعلم طريق النظر، وهو الفكر في عجائب الصنع، ليعلم أنه لا بد له من فاعل لا يشبهه شيء...، وقوله (لا إله إلا هو) نفي وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلا الله" (١).

وقال ابن عاشور: وقد جاء الخطاب للجميع بكاف الجمع للعموم من وقت نزول الآية إلى يوم القيامة، فالخطاب للقارئ والسامع، فالضمير عام والمقصود به ابتداء المشركون؛ لأنهم جهلوا أن الإله لا يكون إلا واحد، والإله في كلام العرب هو المعبود؛ ولذلك تعددت الآلهة عندهم وأطلق لفظ الإله على كل صنم عبدوه شيئًا عبث وغلط، فوصف

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، وابراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج٢ ص١٩١.

الإله هنا بالواحد لأنه في نفس الأمر هو المعبود بحق، فليس إطلاق الإله على المعبود بحق نقلا في لغة الإسلام ولكنه تحقيق للحق [١].

وقد عاب القرطبي على بعض الصوفية طريقتهم في فهم النفي والإثبات في معنى (لا إله إلا الله)، فقال -رحمه الله-: "وحكي عن الشبلي -رحمه الله- أنه كان يقول: الله، ولا يقول لا إله، فسئل عن ذلك فقال أخشى أن آخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار، قلت وهذا من علومهم الدقيقة، التي ليست لها حقيقة، فإن الله جل اسمه ذكر هذا المعنى في كتابه نفيًا وإثباتًا وكرره، ووعد بالثواب الجزيل لقائله على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فقال: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) [٢]، والمقصود القلب لا اللسان، فلو قال: لا إله ومات ومعتقده وضميره الوحدانية وما يجب له من الصفات لكان من أهل الجنة باتفاق أهل السنة" [٣].

فلو كان كلام الشبلي صحيح أو دليل على قوة الإيمان لكان الأولى بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد كان دائم الذكر بلا إله إلا الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [٤].

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م، ج٢ ص٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ١/ ٥٥، رقم (٥٥)، بلفظ (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص١٩١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، ٥/ ٥٧٢، برقم (٣٥٨٥)

والتنكير في إله للنوعية؛ لأن المقصود منه تقرير معنى الألوهية، وليس الإفراد لأن الإفراد مستفاد من قوله واحد، وقد أفادت جملة (لا إله إلا هو) التوحيد؛ لأنها نفت حقيقة الألوهية عن غير الله تعالى [١]، فالنفي ارتبط بالتنكير لينفي الألوهية وصفاتها عن ما سوى الله تعالى، وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية، وأنه لا شريك له ولا عديل له، بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو، وأنه الرحمن الرحيم...، ثم ذكر الدليل على تفرده بالإلهية بخلق السماوات والأرض وما فيها، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته" [٢].

وقال السعدي: "يخبر تعالى –وهو أصدق القائلين– أنه (إله واحد) أي: منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل له، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه...، فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة فمن الله، وأن أحد من المخلوقين لا ينفع أحدًا، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات" [٣].

ففي الآية دليل على استحقاق الله تعالى وحده بالعبادة؛ ولذلك ذكر الحق سبحانه وتعالى بعضًا من مظاهر قدرته، فقال تعالى: {إِنَّ فِي

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج٢ ص٧٥.
(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٣٤٤.
(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص٧٧.

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٦٤] فقد خاطب الله تعالى بهذه الآيات لمن يعقل ويفهم، أن القادر على هلق هذا الكون وما فيه هو وحده الذي يستحق العبادة.

ومن الآيات القرآنية الدالة على وحدانية الله قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] التي تؤكد بوضوح لا لبث فيه أن الله تعالى منفرد بالعبادة، والطاعة، وأن الاستعانة لا تكون إلا به، وقال الطبري في تفسير (إِيَّاكَ نَعْبُدُ): "إياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك...، وقال في (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، وإياك يا ربنا نستعين على عبادتنا إياك وطاعتنا في أمورنا لكها، لا أحد سواك، إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره بمعبوده الذي يعبده من الأوثان دونك، فنحن بك نستعين في جميع أمورنا، مخلصين لك العبادة" (١).

وقال الماتريدي في تفسيره (إِيَّاكَ نَعْبُدُ): إن لها توجهين الأول: التوحيد، والثاني: الطاعة التي يُعبد الله بها، فعلى العبد أن يوحد الله في كل عبادة لا يشرك فيها أحد، بل يخلصها فيكون موحدًا لله تعالى بالعبادة والدين جميعًا، وعلى قطع الطمع، والخوف، والحوائج كلها عن

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج١ ص١٥٩ – ١٦٠.

الخلق، وقال في معنى قوله تعالى (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ): فذلك طلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع حوائجه دينا ودنيا [١].

فالتوحيد جمع بين عبادة الله تعالى وطاعته والتوكل عليه، قال البغوي: والعبادة هي الطاعة مع التذلل والخضوع لله، ولذلك سُميّ العبد عبدًا لذلته وانقياده، وإياك نستعين هي طلب الاستعانة على العبادة وعلى جميع الأمور، فإن قيل: لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة، والاستعانة تكون قبل العبادة، قيل: هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل، ونحن نحمد الله ونجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير، وقيل: الاستطاعة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولًا [٢].

فمن وفقه الله على العبادة والطاعة فقد أعانه على الفعل، أو من نوى الخير والعبادة نية حقيقية خالصة لله تعالى، فسيعينه على مقصوده، لأن العبادات مرتبطة بالنية، فمن نوى العبادة وشرع في ممارستها فهو في عبادة ومعونة من الله تعالى؛ ولذلك يثاب الإنسان على إعداده للعبادة، كمن حسن ثيابه من أجل الصلاة، ولبس أحسن الثياب لصلاة الجمعة، وجلس منتظر للصلاة فكل هذه الأمور تُعد من قبيل العبادة والطاعة، بل وتُعد عون من الله وتوفيق للعبادة.

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في

---

(١) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي، ت: مجدي باسلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج١ ص٣٦٣.

(٢) البغوي، أبو محمد الحسي بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ، ج١ ص٧٥.

سوقه خمسا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي يعني عليه الملائكة، ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه" (١).

وقال القرطبي في معنى قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} "قال الهروي: ونطق المكلف به إقرار بالربوبية وتحقيق لعبادة الله تعالى، إذ سائر الناس يعبدون غيره من أصنام وغير ذلك، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي: نطلب العون والتأييد والتوفيق (٢).

وقد أكد ابن كثير على أهمية هذه الآية وأنها سر من أسرار الفاتحة، فقال رحمه الله: " الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة إياك نعبد وإياك نستعين، فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله -عز وجل-" (٣).

وقال السعدي: وجمع الله بين العبادة والاستعانة في هذه الآية وقدّم العبادة على الاستعانة وذلك من باب تقديم العام على الخاص اهتمامًا بتقديم حقه على حق عباده، وأنه لا استعانة إلا بالعبادة، والقيام بعبادة الله والاستعانة به أفضل وسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مقصودًا بها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق، ١/ ١٠٣، رقم (٤٧٧)
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص١٤٥.
(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٤٩.

وجه الله [١]، ولذلك أمر الله عباده بأن يعبدوه، ويوحدوه، ويسبحوه – سبحانه وتعالى–.

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١] وهذه الآية من الآيات التي تأمر بعبادة الله وحده؛ وذكر دليل استحقاقه العبادة وهو الخلق، قال الطبري: أمر بإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة، لأنه خالقهم وخالق من قبلهم من الآباء والأجداد، وخالق الأوثان والأصنام التي يعبدونها من دونه، وهو القادر على الضر والنفع وأولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر [٢].

فالعبادة هنا معناها التوحيد، قال البغوي: اعبدوا أي: وحدوا، وقال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد [٣]، وعبادته تعني توحيده والتزام شرائع دينه، وأصل العبادة الخضوع والتذلل، وقد خص الله تعالى الخلق من بين سائر صفاته لأن العرب مقرة بأنَّ الله خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم، وليذكرهم بنعمة الله عليهم [٤].

وقال النسفي: ولأهمية هذا التوجيه جاء من قِبل الله تعالى بأسلوب النداء؛ لأن ما نادى الله به عباده من أوامره، ونواهيه، ووعده، ووعيده، أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ، وعبر الله تعالى بخلقكم من بين سائر صفاته؛ لأنهم كانوا يسمون الآلهة

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١ ص٣٨٥.
(٣) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج١ ص٩٣.
(٤) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص٢٢٥ – ٢٢٦.

أربابًا، والخلق: هو إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، وعند المعتزلة إيجاد الشيء على تقدير واستواء وهذا بناء على أن المعدوم شيء عندهم؛ لأن الشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم، وعندنا -أي: أهل السنة- هو اسم للموجود [١].

وقال ابن كثير: بدأ سبحانه وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشًا، وثبتها بالرواسي الشامخات، وجعل السماء بناءً، وأنزل من السماء ماءً والمراد به السحاب هاهنا في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقًا لهم ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع من القرآن [٢].

فلم يقتصر سبحانه في تعداد نعمه على الخلق فقط، بل تمهيد الأرض، وجعل السماء سقفًا، وإنزال الماء منها الذي يخرج على أثره النبات فيأكل منه الإنسان والحيوان أدلة على وحدانيته، فقال السعدي: فجعل لكم الأرض فراشًا تستقرون عليها، وتنتفعون بالأبنية، والزراعة، والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها، وجعل السماء بناءً لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس، والقمر، والنجوم [٣].

---

(١) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج١ ص٦٢.
(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج١ ص١٠٣.
(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٤.

فهذه إشارة من الحق -سبحانه وتعالى- إلى الخلق بأن التناسق والاتساق الموجود في الكون لأبلغ دليل على الوحدانية، إذ لوكان للكون إلهين أو أكثر لحدث التنافر في الكون وما وجد هذا التناسق، وقد أكد المولى -عز وجل- على هذه الحقيقة في القرآن الكريم فقال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: ٢٢].

وهذه الآية تُعد من باب التسليم الجدلي للخصم، وكان المولى -عز وجل- يريد ان يقول: لو افترضنا لمن يقولون بتعدد الآلهة أن كلامهم صحيح فما الذي ينتج ويلزم عنه؟ من الطبيعي أن يلزم خلل في نظام الكون، وتفسد السماء والأرض، ويفسد سكن السماء والأرض، وفي ذلك إشارة إلى فساد الكون بأكمله، قال الطبري -رحمه الله-: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهة التي لا تصلح إلا له لفسدتا أي: فسد أهل السماوات وأهل الأرض(١).

فلو كان للكون إلهين ما وجدت أتساق واتفاق بين السماء والأرض في تحقيق المنافع للخلق؛ لأن كل إله سيفسد ما فعله الآخر، ومن الممكن لا تجد سماء أو أرض من الأصل قال الماتريدي: أي لم يكونا من الأصل (السماء والأرض)، لأن العرف في الملوك أن ما بنى هذا وأثبته يريد الآخر نقضه وإفناءه، فلم يثبتا ولم يكونا من الأصل لو كانا لعدد، ويحتمل ان يكون المعنى: لم تكن منافع إحداهما متصلة بمنافع

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٦ ص٢٤٦.

الأخرى للخلق، إذ يمنع كل واحد منهما منافع ما خلق هو من أن تصل إلى الأخرى، فإذا اتصلت منافع إحداهما بالأخرى، دل أنه صنع واحد وتدبير واحد لا عدد، ولو كان عددًا لكان لا يخرج تدبيرهما على حد واحد كل عام، لكن إذا اتسق التدبير وجرى الامر في كل عام علة سنن واحدة، دل على أنه من تدبير وصنع إله واحد لا عدد[١].

واعتبر بعض العلماء أن هذه الآية أساس ما يسمى بدليل التمانع [٢]، وقد فسر الفخر الرازي هذه الآية بموجب دليل التمانع عند المتكلمين [٣]، وقال البغوي: لو كان فيهما، يعني في السماء والأرض، آلهة إلا الله، يعني غير الله، لفسدتا، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة؛ لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام [٤]، لا بد من حصول فوضى عارمة في أصل الكون، وقد عبر القرطبي عن هذه الفوضى بالتنازع فقال: والمعنى لوكان فيهما آلهة سوى الله لفسد أهلها، فلو كان فيهما إلهان لفسد التدبير؛ لأن أحدهما إن أراد شيئًا والآخر ضده كان أحدهما عاجزًا عن تحقيق مراده [٥].

---

(١) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي، ج٧ ص٣٣٦.

(٢) دليل التمانع: معناه يستحيل القول بوجود إلهين؛ وذلك لأننا لو فرضنا وجود إلهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه، فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين، أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر، فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك، وبالعكس، فلو امتنعا معًا لوجدا معًا، وذلك محال، أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك محال أيضا لوجهين، أحدهما: أنه لو كان كل واحد منهما قادرًا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة، وإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني وإلا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح، وثانيهما: أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرًا والذي لم يقع مراده يكون عاجزًا، والعجز نقص وهو على الله محال، وعليه فما وقع مراده يكون هو الإله. انظر الرازي، أبو عبد الله محمد لن عمر، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٢٢ ص١٢٧.

(٣) انظر الرازي، أبو عبد الله محمد لن عمر، مفاتيح الغيب، ج٢٢ ١٢٧.

(٤)البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٣ ص٢٨٦.

(٥) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١١ ص٢٧٩.

وقال ابن عاشور: إن هذه الآية تُعد استدلال على بطلان عقيدة المشركين في التعدد، عندما زعموا أن الله جعل آلهة شركاء له في تدبير الخلق، أي أنه بعد أن خلق السماوات والأرض، أقام في الأرض شركاء له، ولذلك كانوا يقولون في التلبية في الحج: "لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك"، وذلك من الضلال المضطرب الذي وضعه لهم أئمة الكفر بجهلهم وترويج ضلالهم على عقول الدهماء، وبذلك يتبين أن هذه الآية استدلال على استحالة وجود آلهة غير الله بعد خلق السماوات والأرض لأن المشركين لم يكونوا ينكرون أن الله هو خالق السماوات والأرض، قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: ٩] فهي مسوقة لإثبات الوحدانية لا لإثبات وجود الصانع إذ لا نزاع فيه عند المخاطبين، ولا لإثبات انفراده بالخلق إذ لا نزاع فيه كذلك (١).

وقد بيّن سبحانه وتعالى مظاهر فساد السماوات والأرض لو كان للكون أكثر من إله، فقال تعالى: {... وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون: ٩١] وقال ابن جرير الطبري: سبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر، إذ لو كان معه إله آخر -سبحانه- لاعتزل كل إله منهم بما خلق من شيء وانفرد به، ولتغالبوا وعلا بعضهم على بعض، وغلب القوي منهم الضعيف؛ لأنَّ القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصح لأن يكون إله (٢).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج١٧، ص٣٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٧، ص١٠٢.

فالقرآن يخاطب العقل السليم الذي يعي ويفهم، ويلزم المعاندين المشركين بالحجة أن الكون لا يصح أن يكون له إلا إله واحد، وإلا يؤول العالم إلى الفساد، والانقسام، والتناحر، والتغالب بين الآلهة، إذ كل إله يرفض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ومنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق [١].

ويقول ابن القيم في تفسيره لهذه الآية: تأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالق، وفاعل، ونافع، وضار، فينفع من يعبده ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى شركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره والتفرد بالألهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بمماليكهم، إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر، والعلو عليه، فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

١. إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

٢. وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

٣. وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد.

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض، وجريانه على نظام محكم لا يختلف، ولا يفسد، لأوضح دليل وبرهان على أن مدبره واحد، لا إله غيره كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد، لا رب غيره، فذلك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في الغاية

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٣ ص٣٧٣.

والألوهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون له إلهان معبودان [١].

وقد أشار المولى -عز وجل- إلى حقيقة مشاهدة للجميع وهي أن العالم في أتم نظام واتساق، فلو أن العالم له إلهين لذهب كل إله بخلقه، ولكن الحقيقة أن العالم منتظم ومتسق فيلزم وجود إله واحد، وقد أكد ابن كثير على ذلك فقال: لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال، كما أنه لو قدر التعدد لأراد كل منهم قهر الآخر، فيعلو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا هذا المعنى، وعبروا عنه بدليل التمانع [٢].

فالغالب هو الذي يستحق أن يكون إله، ويقول السعدي: مع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا ينتظم هذا النظام المدهش للعقول، واعتبر ذلك بالشمس والقمر، والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها من يوم أن خُلقت وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، فكلها مسخرة بالقدرة مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، وليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خللًا ولا تناقضًا، ولا معارضة في أدنى تصرف، فها يتصور أن يكون ذلك، تقدير إلهين ربين؟ سبحانه وتعالى عما يصفون، إن المدبر للكون إله وأحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تفسير القرآن الكريم، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٤١٠هـ، ص٣٨٨.
(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٥ ص٤٢٧.

لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة [١].

وذكر الحق -سبحانه وتعالى- دليلًا آخر على وحدانيته من قبيل التسليم الجدلي، فقال تعالى: **{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا}** [الإسراء: ٤٢ - ٤٣]

وهنا يضرب الله تعالى للمشركين افتراض جدلي بأنه لو كان ما تدعوه صحيح من وجود آلهة أخرى فهذه الآلهة لا ينبغي لها إلا أن تقترب من الله -سبحانه- وتتودد إليه، قال الطبري: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر، لو كان الأمر كما تقولون من أن مع الله آلهة، -وليس ذلك كما تقولون- إذن لابتغت تلك الآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزلفة إليه، والمرتبة منه [٢].

وقد بيّن الماتريدي التسليم الجدلي في هذه الآية فقال: لو كانت هذه الأوثان والأصنام آلهة كما يزعم المشركون فلم لا تظهر ربوبيتها وألوهيتها بما أنشأت من الخلائق، كما أظهر الله ربوبيته وألوهيته بما أنشأ من الخلائق، ولم يظهر لهم ممن يدعون لهم ألوهيته إنشاء شيء من ذلك فدلّ أنه ليس هنالك إله غيره، أو: لو كانوا آلهة لمنعوا الله من إنفاذ أمره في خلقه، ومشيئته، واتساق التدبير، فإذا لم يصدر ذلك منهم

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٥٨.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٤ ص٦٠٣.

دلّ على أنه لا إله معه سواه، أو: سعى كل منهم في غلبة غيره وقهر الآخر، أو: يمنع كل منهم أن يكون لله الواحد بالخلق دلالة ألوهية وربوبية، فإذا لم يمنعوا ذلك دلّ على أنه لا ألوهية لسواه، وهو الأول بعينه [١].

وقد أكدَّ الرازي على أن هذه الآية المراد بها التسليم الجدلي، فقال: إن المراد من قوله إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا هو أنا لو فرضنا وجود آلهة مع الله تعالى لغلب بعضهم بعضًا، وحاصله يرجع إلى دليل التمانع [٢]، وقال القرطبي: "قال ابن عباس: لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقال ابن جبير: إذا لطلبوا طريقًا إلى الوصول إليه ليزيلوا ملكه، لأنهم شركاؤه" [٣].

وذكر الرازي الرأي الثاني أيضًا فقال: لو كانت هذه الأصنام كما تقولون من أنها تقربكم إلى الله زلفى لطلبت لأنفسها أيضا قربة إلى الله تعالى وسبيلًا إليه، ولطلبت لأنفسها المراتب العالية، والدرجات الشريفة من الأحوال الرفيعة، فلما لم تقدر أن تتخذ لأنفسها سبيلا إلى الله فكيف يعقل أن تقربكم إلى الله [٤]، وقال القرطبي: "وقال قتادة: المعنى إذا لابتغت الآلهة القربة إلى ذي العرش سبيلا، والتمست الزلفة عنده؛ لأنهم دونه، والقوم اعتقدوا أن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى، فإذا اعتقدوا

(١) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي، ج٧ ص٥١ – ٥٢.
(٢) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ج٢٠ ص٣٤٦.
(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠ ص٢٦٥ – ٢٦٦، / وانظر النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي، ج٢ ص٢٥٩.
(٤) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ج٢٠ ص٣٤٦.

في الأصنام أنها محتاجة إلى الله –سبحانه وتعالى– فقد بطل أنها آلهة" (١).

وقال ابن كثير في المعنى العام لهذه الآية: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكًا من خلقه، العابدين معه غيره، ليقربهم إليه زلفى لو كان الأمر كما يقولون، وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون وساطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه، وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه" (٢) وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ المراغي في تفسيره (٣).

وقال السعدي عن هذه الآية: ومن أعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة التوحيد الذي هو أصل الأصول، فأمر به ونهى عن ضده، وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية شيئًا كثيرًا بحيث من أصغى إلى بعضها لا تدع في قلبه شكًا ولا ريبًا، ومن الأدلة على ذلك هذا الدليل العقلي الذي ذكره هنا، فقال: " **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**" [الإسراء: ٤٢] أي قل للمشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر، لو كان مع الله آلهة أخرى لاتخذوا سبيلًا إلى الله بعبادته والإنابة إليه والتقرب وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠ ص٢٦٦، / وانظر النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي، ج٢ ص٢٥٩.
(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص٧٢.
(٣) انظر المراغي، لأحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج١٥ ص٥٠.

الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه إلها مع الله؟! هل هذا إلا من أظلم الظلم وأسفه السفه؟ (١).

فإن الحق سبحانه وتعالى ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته أي توحيده قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] قال القرطبي: "والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون" (٢)، وقال ابن كثير: "إنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب (٣).

فحقًا إن العبادة لله وتوحيده سبحانه وتعالى هي الغاية من خلقه للخلق، قال السعدي: إن هذه هي الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة متوقف على معرفة الله تعالى، وكلما زاد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم من أجل غرض يأخذه منهم فهو لا يحتاج إليهم في طعام أو رزق؛ لأنه هو الرزاق، وجميع الخلق فقراء إليه (٤).

وقد أكد المولى عز وجل للنبي ﷺ على ذلك، وبيّن أن العبودية لله وتوحيده هو الأصل الأول والأساس الذي جاء به الأنبياء، فقال تعالى:

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٥٨.
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٥٥.
(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٧ ص٣٩٦.
(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨١٣.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥].

قال الطبري: أي وما أرسلنا قبلك يا محمد من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح له العبادة سوايّ، ومعنى **{فَاعْبُدُونِ}** أخلصوا ليّ في العبادة، وأفردوا ليّ الألوهية، وقال قتادة: أي أرسلت الرسل، بالإخلاص والتوحيد [١].

وقال القرطبي: أي كانت الكلمة الأولى التي يقولها كل نبي لقومه (لا إله إلا الله)، فالأدلة العقلية شاهدة على أنه لا شريك له، والأدلة النقلية عن جميع الأنبياء موجود، وقال قتادة: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد. [٢]

وأضاف ابن كثير إلى أدلة القرطبي الدليل الفطري، فقال: فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضًا، والمشركون لا برهان لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد [٣]، وقال السعدي في تفسيره: "فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة [٤].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٦ ص٢٥٠.
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٢٨٠.
(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٥ ص٢٩٦.
(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٢١.

ومن أدلة التوحيد في القرآن الكريم قوله تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}** [الإخلاص: ١- ٤].

سبب نزول السورة:

إن المشركين قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- انسب لنا ربك، فانزل الله تعالى **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ}** [الإخلاص: ١- ٢] فالصمد: الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل، لا يموت ولا يورث، **{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}** [الإخلاص: ٤] (١).

فأجاب الله تعالى على السؤال الذي وجِهَ للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: قل لهم يا محمد أن صفة الله أنه أحد، وعبر عن الوحدانية بالأحدية لأنها أبلغ وآكد في التوحيد، فقال القرطبي: أحد: أي الواحد الوتر، الذي لا شبيه له، ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك (٢)، وسُميت هذه السورة بسورة الإخلاص لأنها توحيد خالص لله تعالى.

وقال ابن عاشور: فوصف الله بأنه أحد معناه أنه منفرد بالحقيقة الملحوظة في اسم العلم وهي الإلهية المعروفة، فإذا قيل: الله أحد فالمراد أنه منفرد بالإلهية، وإذا قيل: الله واحد، فالمراد أنه واحد لا متعدد فمن دونه ليس بإله، ومآل الوصفين إلى معنى نفي الشريك له تعالى في إلهيته، فلما أريد في صدر البعثة إثبات الوحدة الكاملة لله تعليما للناس

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص، ٥/ ٤٥١، رقم (٣٣٦٤)
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠ ص٢٤٤، / وانظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٨ ص٤٩٧.

كلهم، وإبطالا لعقيدة الشرك وصف الله في هذه السورة بـ"أحد"، ولم يوصف بـ"واحد"؛ لأن الصفة المشبهة نهاية ما يمكن به تقريب معنى وحدة الله تعالى إلى عقول أهل اللسان العربي المبين (١).

فكانت الإجابة على المشركين باليقين الذي لا يشوبه الشك بان الله واحد، فقال السعدي: أي قل قولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، (هو الله أحد)، أي قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل (٢).

فكانت الإجابة بفعل الأمر قل؛ لإظهار العناية بما بعد هذا الأمر من توجيهات حكيمة، ولتلقينه صلى الله عليه وسلم الرد على المشركين الذين سألوه أن ينسب لهم ربه، والأحد: هو الواحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وفي كل شأن من شئونه، فهو منزه عن التركيب من جواهر متعددة، أو من مادة معينة، كما أنه عز وجل منزه عن الجسمية والتحيز، ومشابهة غيره (٣).

ومن فضلها أنها تعادل ثلث القرآن، فعن أبي الدرداء، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟" قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: "قل هو الله أحد، يعدا ثلث القرآن" (٤).

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٦١٤.
(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٣٧.
(٣) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج١٥ ص٥٤٠.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، ١/ ٥٥٦ رقم (٨١١)

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءًا من أجزاء القرآن" (١).

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن" فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله –صلى الله عليه وسلم– فقرأ: قل هو الله أحد، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاء من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن" (٢).

وكما أنها كانت خالصة في توحيد الله تعالى، فهي خالصة أيضًا في الرد على جميع العقائد الباطلة في حق الله تعالى فقال الطنطاوي: إن هذه السورة الكريمة قد تضمنت نفى الشرك بجميع ألوانه، فنفى سبحانه عن ذاته التعدد بقوله: الله أحد ونفى عن ذاته النقص والاحتياج بقوله: الله الصمد، ونفى عن ذاته أن يكون والدًا أو مولودًا بقوله: لم يلد ولم يولد، ونفى عن نفسه الأنداد والأشباه بقوله: ولم يكن له كفوًا أحد، كما تضمنت هذه السورة الكريمة الرد على المشركين وأهل الكتاب، وغيرهم من أصحاب الفرق الضالة، الذين يقولون، بالتثليث، وبأن هناك آلهة أخرى تشارك الله –تعالى– في ملكه، وبغير ذلك من الأقاويل الفاسدة والعقائد الزائفة –سبحانه وتعالى– عما يقولون علوًا كبيرًا (٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، ١/ ٥٥٦ رقم (٨١١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، ١/ ٥٥٧، رقم (٨١٢)

(٣) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج١٥ص٥٤١ – ٥٤٢.

نعم فإن الله –تعالى– واحد في ذاته فلا توجد ذات تشبه ذاته، وليست ذاته مركبة من أجزاء، فلا يقبل الاتصال أو الانفصال، وواحد في صفات فلا يوجد أحد متصف بصفة من صفاته، وصفاته واحدة فلا توجد له صفتان من نوع واحد، أي: أن الله لا قدرة واحدة يوجد بها ويعدم بها، فلا توجد له قدرة خاصة بالإيجاد، وقدرة أخرى خاصة بالإعدام، وواحد في أفعاله، فلا يوجد أحد لهف عل كأفعال الله –تعالى–، فهذه السورة نفت عن الله –تعالى– الشبيه، والمثل، والند، والضد.

وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية وثنى بالملائكة وبعد ذلك أولوا العلم، فقال تعالى: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [آل عمران: ١٨].

فشهد الله –تعالى– لنفسه بالوحدانية أي: أخبر الخلق أنه إله واحد، فهي إخبار وإعلام، وشهادة الملائكة: أي أقروا على وحدانيته، وشهادة أولوا العلم: وهم الأنبياء أي يعملوا بمقتضى كلمة التوحيد، وقيل: جميع علماء المؤمنين(١)، وقيل: والمراد بأولى العلم هنا جميع العلماء الذين سخروا ما أعطاهم الله من معارف في خدمة عقيدتهم، وفيما ينفعهم وينفع غيرهم، وأخلصوا الله في عبادتهم، وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم (٢).

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج١ ص٤٢٠.
(٢) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٢ ص٥٥.

وقال ابن كثير: شهد تعالى وكفى به شهيدًا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين أنه لا إله إلا هو، أي: المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه، وهو الغني عما سواه، ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته، وفي هذه الآية خصوصية عظيمة للعلماء، وبيان لفضلهم ومقامهم عند الله تعالى [١].

كما أنه قد يفهم شهادة الله لنفسه بالوحدانية أنه وضع الأدلة والشواهد التي تدل على كونه واحد، وقد شبه تعالى إقامة الأدلة على وحدانيته من إيجاد المخلوقات ونصب الأدلة العقلية، بشهادة الشاهد بتصديق الدعوى في البيان والكشف على طريق الاستعارة التبعية، وبيّن ذلك الملائكة بما نزلوا به من الوحي على الرسل، كما بيّن ذلك أولو العلم بما أقاموا من الحجج على الملاحدة [٢]، فشهد الله –تعالى– بوحدانيته بما خلق من الأدلة، وشهدت الملائكة بما نزلت به من آيات تقرر الوحدانية على الأنبياء والمرسلين، وشهد العلماء بوحدانية الله تعالى بما لمسوه من علوم تؤكد وتقرر هذه الحقيقة.

وقد أكد على هذا المعني السعدي في تفسيره فقال: هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، فنوّع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا الأصل العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص٢٠.
(٢) انظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج٣ ص١٨٦.

للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد وبطلان الشرك [١].

أما عن شهادة الملائكة لله تعالى بالوحدانية فقال السعدي: وأما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله، وقال عن شهادة أولوا العلم: وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه والعمل به [٢].

وقال الطنطاوي: والمعنى العام لهذه الآية أن الله أخبر عباده وأعلمهم بالآيات القرآنية التي أنزلها على نبيه، وبالآيات الكونية التي لا يقدر على خلقها أحد سواه، وبغير ذلك من الأدلة القاطعة التي تشهد بوحدانيته، وأنه لا معبود بحق سواه، وأنه هو المنفرد بالألوهية لجميع الخلائق. وأن الجميع عبيده وفقراء إليه وهو الغنى عن كل ما عداه، وشهد بذلك الملائكة بأن أقروا بأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد فعبدوه حق العبادة، وأطاعوه حق الطاعة، وشهد بذلك أيضًا أولوا العلم بأن اعترفوا له –سبحانه وتعالى– بالوحدانية، وصدقوا بما جاءهم به الرسول صلّى الله عليه وسلّم وبلغوا ذلك لغيرهم [٣].

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٢٤.
(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٢٤.
(٣) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج٢ ص٥٥.

وهذه الآية دلّت على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم [1]، ودليل على أن القرآن الكريم ما اهتم بأمر كما اهتم بأمر التوحيد، وأن الله تعالى حينما تحدث عن الشرائع في القرآن لم يتحدث عن بالتفصيل، بل تركها تفصيلها للسنة النبوية، ففصلت أمر الشرائع وبيّنت عدد ركعات الصلاة، وأنصبة الزكاة، وكيفية الصيام وأحكامه، ومناسك الحج، أما أمر التوحيد فتناوله القرآن بالتفصيل لأنه هو أساس الدين.

وقد شهدت البشرية جميعًا بالوحدانية لله تعالى قبل وجودهم في العالم الدنيوي فيما يسمى بعالم الذر، قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}** [الأعراف: ١٧٢].

فهذه الآية أطلق العلماء عليها آية الذر لأن الله تعالى أخرج من صلب آدم –عليه السلام– ذريته جميعًا وشهدت له بالوحدانية، وهذا إن دلّ فإنما يدل على أهمية التوحيد، الأمر الذي جعل الله تعالى يخرج البشرية من صلب آدم –عليه السلام–؛ كي يضع فيهم فطرة التوحيد، ويشهدوا بذلك.

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٢٤.

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به [١]، فعن ابن عباس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا، فقال: **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}** [الأعراف: ١٧٢ -١٧٣] [٢].

وقال ابن جبير سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال: مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذه وأشار بيده فأخذ مواثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم [٣].

وقال البغوي: وروي أن الله تعالى قال لهم جميعًا: اعلموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئًا، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي، وإني مرسل إليكم رسلًا يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزّل عليكم كتبًا فتكلموا جميعًا، وقالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم [٤].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٠ ص٥٤٧.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، من حديث عبد الله بن العباس، ٤/ ٢٦٧، رقم (٢٤٥٥)
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج١٠ ص٥٤٨.
(٤) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٢ ص٢٤٧.

فأنزل الله هذه الآية على النبي –صلى الله عليه وسلم– كي يذكر قومه بهذا العهد والحق أنهم لن يتذكروا شيئًا؛ لأن هذا الأمر مرتبط بالفطرة السليمة، قال القرطبي: قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ)، أي واذكر لهم مع ما سبق من تذكير المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر، ودلهم بخلقه على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم أن له ربًا واحدًا، وقيل: إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها، ولكن القرطبي رفض الرأي القائل بخروج الأرواح فقال: وفي الحديث عن النبي –صلى الله عيلة وسلم– أنه تعالى أخرج الأشباح فيها الأرواح من ظهر آدم –عليه السلام– [1]، ومن الواضح أن الله تعالى أراد أن يلزمهم الحجة على أنفسهم، ففطرهم على التوحيد، وهذا يعني أن المشرك مخالف بطبعه للفطرة السليمة.

قال ابن كثير: إن الله تعالى استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، فقال تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}** [الروم: ٣٠] وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه،

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٣١٤.

أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء" [١].

وقوله تعالى لهم: "**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**" بيان لجملة أشهدهم على أنفسهم أي قررهم بهذا القول وهو من أمر التكوين، وقال ابن عاشور: وحاصل المعنى أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، وجعل في فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلى إدراك ذلك، وتحصيل إدراكه إذا جرد نفسه من العوارض التي تدخل على فطرته فتفسدها [٢].

ولكن السعدي في تفسيره رفض أن يكون هذا العهد والميثاق في عالم الذر؛ حيث إن هذا الأمر لا يخطر ببال أحد، فكيف يحتج الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا لع عين ولا أثر؟ وقال إن هذا العهد والميثاق حين أخرجهم الله الذرية من الأصلاب والأرحام وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنًا بعد قرن، وحين اخرجهم من بطون الأمهات وأصلاب الآباء أشهدهم على نفسه بما أودع من فطرة [٣].

ولو تأملت معي عزيزي القارئ، لوجدت أنه يمكن الاعتراض على كلام السعدي بنفس اعتراضه السابق، فهو يرى أنه لا يجوز الاحتجاج بما لا يتذكر الإنسان، وتفسيره لهذه الآية يدل على أن هذا الإقرار والشهادة كان بعد الولادة، وهذا أمر لا يتذكره أحد، وان الفطرة الإنسان

(١) انظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص٤٥١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ٢/ ١٠٠، رقم (١٣٨٥)
(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج٩ ص١٦٨.
(٣)السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٠٨.

يولد عليها ومزود بها، وعليه فأرجح القول القائل إن هذا الإقرار كان للأرواح كما نقله القرطبي [١].

أدلة التوحيد في السنة النبوية:

رأيت عزيزي القارئ اهتمام القرآن الكريم بالحديث عن التوحيد من حيث الأمر بالاعتراف والإقرار به، ومن حيث الإشارة إلى الأدلة المادية والعقلية التي تؤكد وحدانية الله تعالى، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فالسنة النبوية اهتمت ببيان أمر التوحيد؛ وذلك لأن المهمة الأولى للنبي -صلى الله عليه وسلم- هي إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق، كما رغبت السنة البشر إلى التوحيد بالثواب الجزيل من عند الله تعالى، ومن هذه الأدلة ما يلي:

فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" [٢]. وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الإسلام أن تشهد

(١) انظر القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٣١٤.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، ١/ ١١، رقم (٨)

أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلًا...،"(١).

فبيّن لنا النبي -صلى الله عليه وسلم- في أكثر من موضع أن الإقرار بوحدانية الله هو أساس الإسلام والإيمان، ثم تأتي الشرائع بعد ذلك، فمن تكاسل عن أداء فريضة فهو مسلم عاص ولم يخرجه تكاسله عن دائرة الإسلام، أما ترك التوحيد ولو عن طريق الهزال يؤدي ذلك إلى الكفر -والعياذ بالله- قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...**﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

وقال ابن عباس -رضي الله عنه- "لما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذًا نحو اليمن، قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس" (٢).

فبدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بالتوحيد أولًا، وبعد ذلك الشرائع، لأن من أدى الصلاة، والزكاة، وصام وحجّ، ولم يقر ويعترف بتوحيد الله فلا ثواب له، وعمله مردود عليه، وعن معاذ بن جبل قال: قال النبي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، ١/ ٣٦، رقم (٨)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله، ٩/ ١١٤، رقم (٧٣٧٢)،

-صلى الله عليه وسلم-: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم" (١).

وقد رغبّ النبي -صلى الله عليه وسلم- في التوحيد بأن الموحدين يستحقون الجنة، فعن عبادة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" (٢).

وعن عثمان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" (٣).

ويقرر النووي مذهب أهل السنة في حكم من مات على التوحيد فقال: واعلم ان مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، فإن كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون، والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلًا فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلًا، لكنهم يردونها على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله، ٩/ ١١٤، رقم (٧٣٧٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ١/ ٥٨، رقم (٣٠)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ٤/ ١٦٥، رقم (٣٤٣٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ١/ ٥٧، رقم (٢٨)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ١/ ٥٥، رقم (٢٦)

الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم -أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه-، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولًا، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى، ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل [١].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير، قال فنفذت أزواد القوم، حتى همَّ بنحر بعض حمائلهم، فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم، فدعوت الله عليها، ففعل، فقال فجاء ذو البُر ببُره، وذو التمر بتمره، فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودتهم، فقال عند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد، غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة" [٢].

والتوحيد هو أول درجة من درجات الإيمان، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" [٣]. وقد لاقى النبي -صلى الله

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١/ ٢١٧.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ١/ ٥٥، رقم (٢٧)
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، ١/ ٦٣، رقم (٣٥)

عليه وسلم- المشقة والجهد في سبيل إرساء دعائم التوحيد في المجتمع، فقد تم اضطهاده وإيذاءه، وتعرّض للقتل أكثر من مرة، ولم تثنه هذه المحاولات عن تركه للرسالة، وقد حدث أن قال أبو طالب للنبي -صلى الله عليه وسلم- يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني، فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قد بدا لعمه فيه بدو، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته، فقال له أبو طالب: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبدًا [1].

فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يمتلك الإصرار والقوة على تبليغ الرسالة ونشر دين التوحيد في أرجاء شبه الجزيرة العربية ومنها إلى جميع أقطار الأرض، وجاهد النبي -صلى الله عليه وسلم في سبيل تبليغ كلمة التوحيد، فعن ابن عمر، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله" [2].

(١) انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٣ ص٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، ١/ ١٤، رقم (٢٥)

الفصل الثالث

كتابات حول حقيقة التوحيد وأنواعه المختلفة والعلاقة بينهم

حقيقة التوحيد

التوحيد صفة من صفات الله تعالى، وقد بينّ الحق سبحانه وتعالى صفته في القرآن الكريم في سورة الإخلاص، وجاءت وافية كافية بتوحيد الله وتنزيهه عن التعدد، والوالد، والولد، والصاحبة، والشبيه، والمثيل، والضد، والند، والتناسخ، وكل ما ذكره الملاحدة في حق الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وهذه حقيقة التوحيد كما ذكرها الحق سبحانه وتعالى، فقد أثبت لنفسه الوحدانية، والصمدية، ونفى عن نفسه اتخاذ الوالد، والولد، وهذا معناه عدم اتخاذ صاحبة، كما نفى عن نفسه الشبيه والمثيل، وتسمى هذه السورة بصفة الله؛ فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ(قل هو الله أحد)، فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك"، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "أخبروه أن الله يحبه" [(١)]، وسُميت هذه السورة بصفة الله؛ لأن سبب نزولها كان سؤال المشركين للنبي –صلى الله عليه وسلم– أن يصف لهم الله –سبحانه وتعالى_ فنزلت هذه الآية.

(١)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، ١/ ٥٥٧، رقم (٨١٣)

❋ **الأحد:** أي الواحد الوتر، وأصل أحد واحد، وقلبت الواو همزة [١]، ولا يطلق هذا اللفظ في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله [٢]، وحقيقته أن الله منفرد بالألوهية لا يشاركه فيها شيء من الموجودات، وهذا إبطال للشرك الذي يدين به أهل الشرك، وللتثليث الذي أحدثه النصارى الملكانية وللثانوية عند المجوس، وللعدد الذي لا يحصى عند البراهمة [٣]، وقد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل [٤].

❋ **الصمد:** الذي يصمد إليه في الحاجات، وقيل: الدائم الباقي، وقيل: تفسيره ما بعده أي لم يلد ولم يولد [٥]، وقيل: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار [٦]، وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصمد، وكلها مندرجة تحت معنى أنه هو الذي يفتقر إليه كل ما

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠ ص٢٤٤.
(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٨ ص٤٩٧.
(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٦١٥.
(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٣٧.
(٥) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠ ص٢٤٥.
(٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٨ ص٤٩٧.

عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه والموجود مفتقر في شؤونه إليه (١).

❋ **لم يلد ولم يولد:** أي لا والد له، ولا ولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا سيورث (٢)، وقيل: يعني لا صاحبة له،(٣) فمن نسب إلى الله -سبحانه وتعالى- الولد فقد انتقص من قدر الله تعالى، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل، كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد" (٤).

ومناسبة نفيه تعالى عن نفسه الوالد والولد هي نفي التعدد بشتى الطرق فكما نفى التعدد أصالة نفاه عن طريق التوالد والتناسخ، لأن من ادعى أن لله سبحانه ولد÷ فهو يدعي ألوهية هذا الولد، فقال ابن عاشور: والتعدد بالتولد مساوٍ في الاستحالة لتعدد الإله بالأصالة؛ لتساوي ما يلزم على التعدد في كليهما من فساد الكون المشار إليه في قوله تعالى: ﴿**لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا**﴾ [الأنبياء: ٢٢] ولأنه

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٦١٧، / وانظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٣٧.
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠ ص٢٤٦.
(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٨ ص٤٩٨.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن سورة قل هو الله أحد، باب حدثنا أبو اليمان، ٦/ ١٨٠ رقم (٤٩٧٤)

لو تَولّد عن الله موجود آخر للزم انفصال جزء عن الله تعالى، وذلك منافٍ للأحدية [١].

❋ **ولم يكن له كفوًا:** أي لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شي [٢]، لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله تبارك وتعالى [٣]، ومثل هذه السورة كما أنها نفت عن الله التعدد، وأثبتت له الوحدانية، والصمدية، ونفت عنه النقائص، فقد أبطلت عقائد كثيرة كعقيدة النصارى القائلين ببنوة عيسى -عليه السلام- بتوهمهم أنه ابن الله، وأن الابن يكون إلهًا بأن الإله يستحيل أن يكون له ولد فليس عيسى بابن الله تعالى [٤]، ولذلك قال السعدي: هذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات [٥].

وتكمن حقيقة التوحيد في عبادة الله بإخلاص، وترك عبادة ما سواه سبحانه، ولهذا خلق الله تعالى الخلق، وأمرهم بذلك، قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}** [البينة: ٥] وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة: ٢١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله: إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو،

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٦١٨.
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠ ص٢٤٦.
(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٣٧.
(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ج٣٠ ص٦١٨.
(٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٣٧.

ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أربابًا [١].

وقد بيّن شيخ الإسلام في موطن آخر ما يجب على العبد الموحد اتجاه ربه، فقال: فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال، ولا بد له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته، وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل، وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له، وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل، والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول [٢].

وحقيقة التوحيد أن يختص المسلم الله بالعبادة وأن يتوكل عليه، فلا يعمل إلا له، ولا يرجى إلا هو، هو سبحانه الذي ابتدأك بخلقك والإنعام عليك بنفس قدرته عليك، ومشيئته ورحمته من غير سبب منك أصلًا، وما فعل بك لا يقدر عليه غيره، وهو الذي يأتي بالرزق لا يأتي به غيره، وهو الذي يدفع الضرر لا يدفعه غيره [٣].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: إن كلمة التوحيد هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٣ ص٤٩٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التدمرية، ت: محمد بن عودة السعوي، الرياض: مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٤ – ٥.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج١ ص٣٧.

الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته [١]، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا، يصدق قلبه لسانه، ولسانه قلبه" [٢].

وقال الشيخ ابن عبد الوهاب شارحًا معنى لا إله إلا الله: واعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات، نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المرسلين، حتى محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الملائكة حتى جبريل، فضلا عن غيرهما من الأنبياء، والصالحين، وإثباتها لله تعالى [٣].

وإذا علم العبد حقيقة التوحيد وأقر به لسانًا وقلبًا، فستكون عبادته خالصة لوجه الله الذي أقر له بالوحدانية، وأنه لا معبود بحق سواه، ويلتزم شرعه الذي يحدد له خطوات هذه العبادة، ويتبع ولا يبتدع؛ لذا فلا بد من معرفة العلاقة بين التوحيد والشرائع.

التلازم بين التوحيد والشرع

إن العلاقة بين التوحيد والشريعة علاقة تلازم وتكامل، فالتوحيد يستلزم الشريعة، والشريعة تستلزم التوحيد، فالإيمان يطلق أحيانًا ويُراد به كل من التوحيد والشريعة، ويُطلق الإسلام ويُراد به التوحيد والشريعة

(١) ابن عبد الوهاب، محمد، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، ت: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، د.ت، ص٣٦٣.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، من حديث أبي هريرة، ١٣/ ٤٣٣، برقم (٨٠٦٩)
(٣) .ابن عبد الوهاب، محمد، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، ص٣٦٤.

[١]، يدل على ذلك حديث جبريل: " قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدِّي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان....." [٢]، ففسَّر الإسلام أيضا بالتوحيد والأعمال المشروعة من صلاة وزكاة وصيام.

وقد شبَّه ابن حجر العلاقة بين التوحيد والشريعة ببيت أهم اعمدته هي التوحيد، وباقي أركانه تمثل الشريعة، فقال: فالتوحيد مثاله أوسط الأعمدة في بيت الشعر، وبقية الأركان تمثل الشريعة، فما دام الأوسط قائمًا فالبيت موجود، ولو سقط منها ما سقط من الأركان، فإذا سقط الأوسط سقط مسمى البيت، فالبيت بالنظر إلى مجموعه شيء واحد، وبالنظر إلى أفراده أشياء، وأيضًا بالنظر إلى أسه وأركانه، الأس هو الأصل، والأركان تبع وتكملة، فالأس هو التوحيد وهو الأصل، والأركان هي الشريعة [٣].

فالشريعة هي التي توضح العبادة السليمة، ولا توجد عبادة سليمة إلا بالإخلاص، والإخلاص أساسه التوحيد الخالص لله، فكل عمل من أعمال الشريعة ينبغي أن يكون خالصًا لله، قال ابن تيمية: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي

(١) الشهراني، نورة محمد مشبب. الرد على المتكلمين في بيان معنى التوحيد دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة. مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية. المجلد: ٣٢، العدد ١٢٥، ٢٠٢١م. ص:١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، الحديث رقم: ٥. ٣٩/١.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح البخاري. تحقيق: محب الدين الخطيب. مصر: المكتبة السلفية. ط١، ١٣٨٠هـ. ٧٢/١.

عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله [1].

والعلاقة بين توحيد الله وعبادته علاقة تكامل وتلازم فتوحيده يلزم عنه عبادته، وعبادته يلزم عنها توحيده تعالى، وذلك لأن العبادة مبنية على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع، فقال ابن تيمية: إن الإسلام مبني على أصلين هما:

- **الأول:** أن نعبد الله وحده لا شريك له.
- **الثاني:** أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لا نعبده بالأهواء والبدع، قال تعالى: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [الجاثية: ١٨] فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم من واجب ومستحب لا يعبده بالأمور المبتدعة، فعن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: "أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج١ ص٨١.

محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" [١]، ثم قال ابن تيمية: وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلي إلا لله، ولا يصوم إلا لله، ولا يحج إلا بيت الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يخاف إلا الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يحلف إلا بالله [٢].

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما [٣]، قال الله تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [الذاريات: ٥٦]، وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك فلا تكون إلا لله وحده كما قال تعالى: **{قل يَا أهل الْكتاب تَعَالَوْا إِلَى كلمة سَوَاء بَيْننَا وَبَيْنكُم أَن لَا نعْبد إِلَّا الله وَلَا نشْرك بِهِ شَيْئا وَلَا يتَّخذ بَعْضنَا بَعْضًا أَرْبَابًا من دون الله فَإِن توَلّوا فَقولُوا اشْهَدُوا بِأَنا مُسلمُونَ}** [آل عمران: ٦٤] وقال تعالى: **{أفغير دين الله يَبْغُونَ وَله أسلم من فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض طَوْعًا وَكرها وَإِلَيْهِ يرجعُونَ}** [آل عمران: ٨٣]

وقال تعالى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة: ٥] وقال ابن القيم: إن العبد كي يكون متحقق بمعنى إياك نعبد لا بد له من أصلين:

- **الأول:** متابعة الرسول –صلى الله عليه وسلم–.
- **الثاني:** الإخلاص للمعبود، فهذا تحقيق إياك نعبد [٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/ ٥٩٢، برقم (٨٦٧)

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج١ ص٨١.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ت: محمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٤٤.

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج١ ص١٠٤.

فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم لا رب لهم غيره ولا مالك لهم سواه ولا خالق لهم إلا هو سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه وسواء علموا ذلك أو جهلوه؛ لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك وآمنوا به؛ بخلاف من كان جاهلا بذلك؛ أو جاحدا له مستكبرا على ربه لا يقر ولا يخضع له؛ مع علمه بأن الله ربه وخالقه. فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له كان عذابا (١).

وقال ابن تيمية: إذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه محتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان والأصنام ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار ولا يصير بها الرجل مؤمنًا، قال تعالى: **{وَمَا يُؤْمِن أَكْثَرهم بِاللَّه إِلَّا وهم مشركون}** [يوسف: ١٠٦] فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى: **{وَلَئِن سَأَلتهمْ من خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْض ليَقُولن الله}** [لقمان: ٢٥] وكثير ممن يتكلم في الحقيقة فيشهدها لا يشهد إلا هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها وفي معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة (٢).

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ص٥١.
(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ص٥٢.

أنواع التوحيد

إن علماء التوحيد قسّموا التوحيد إلى عدة أقسام واختلفوا في هذا التقسيم، فمنهم من قسَّم إلى نوعين ومنهم من جعلهم ثلاثة، ومنهم من جعلهم أربعة أقسام، ولكنهم اتفقوا في المحتوى والقصد وهو تنزيه الله -سبحانه وتعالى-، وتوحيد الله سبحانه التوحيد المطلق، وقد استقر أهل السنة والجماعة على ثلاثة أقسام.

ويقصد بالتوحيد المطلق العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة [١].

وأنواع التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات وقيل نوعين: توحيد معرفة وإثبات وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد إرادة وطلب وهو توحيد الألوهية، فهذه عقيدة المسلمين قاطبة المؤمنين بكتاب الله وسنة رسوله سوى المبتدعة الضلال[٢].

وقد قسمه ابن القيم إلى أربعة أقسام، فقال: التوحيد نوعان هما:

- **الأول التوحيد العلمي:** وهو توحيد العلم والاعتقاد.
- **الثاني التوحيد الإرادي:** وهو توحيد القصد والإرادة.

---

(١) أحمد، المرتضي الزين. كتاب التوحيد للإمام المجد محمد بن عبد الوهاب وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي. المملكة العربية السعودية: مجموعة التحف النفائس الدولية. ط١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م. ص:١٨.

(٢) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. القول السديد في الرد على من أنكر تقسم التوحيد. تحقيق: صالح بن فوزان الفوزان. الرياض: دار ابن القيم للنشر والتوزيع. ط١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص: ١٦.

والتوحيد الإرادي ينقسم إلى نوعين: الأول توحيد الربوبية، والثاني توحيد الألوهية [١]، فنتج عن هذا القول ثلاثة أنواع، توحيد علم، وربوبية، وألوهية.

وقال: فأما توحيد العلم فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص [٢]، وقال ابن القيم بالتوحيد هو (توحيد الأسماء والصفات) وبذلك فأنواع التوحيد عند ابن القيم أربعة وهي (توحيد العلم، الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات) [٣].

وقال ابن عثيمين: واعلم أن أقسام التوحيد ثلاثة (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)، فأما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فلم يختلف فيه أهل القبلة، يعني لم يختلف فيه المسلمون، بل كل المسلمين مجمعون على توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، أي: أنه يجب إفراد الله عز وجل بالربوبية، ويجب إفراده بالعبادة، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو الذي اختلف فيه أهل القبلة [٤].

والدليل على هذا التقسيم الثلاثي للتوحيد التتبع والاستقراء، فقال ابن عثيمين: وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث،

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١ ص٤٨.
(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١ ص٤٨ – ٤٩.
(٣) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١ ص٥١.
(٤) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة السفارينية، الرياض: دار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٦هـ، ج١ ص١٧.

فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع [١].

وقال حافظ حكمي [٢]: التوحيد نوعان، الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي[٣].

ولكنك أيها القارئ لو دققت النظر ستجد الاتفاق على ثلاثة أنواع وهي: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وإليك الحديث عنها بالتفصيل:

أولًا: توحيد الربوبية:

- **الربوبية لغة:** لفظ مشتق من رب، والرب هو الله –عز وجل– هو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك

(١) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، د.ط، ١٤١٣هـ، ج١ ص١٨.

(٢)هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي الحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة بطن من مذحج من كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان علم من أعلام منطقة الجنوب الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ينسب إلى قبيلة الحكم بن سعد العشيرة الحكمي وقد تفرعت عن هذه القبيلة أسر كثيرة اشتهرت بالفقه والأدب والشعر والوعظ من هؤلاء الشيخ صديق بن علي بن أبي بكر الحكمي المتوفى سنة ٨٧٦هـ، فهو الذي أسس الجامع بأبي عريش، واشتهر بالفقه. ولد الشيخ حافظ - رحمه الله - لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢ هـ بقرية السلام التابعة لمدينة المضايا الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة جازان، حيث تقيم قبيلته التي إليها ينتسب. ومكث الشيخ حافظ يطلب العلم على يد شيخه ويستفيد منه. وفي سنة ١٣٦٢ هـ أشار عليه شيخه أن ينشئ نظماً في التوحيد على موجب ما قرأه من الكتب القيمة ككتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله - وغيرهما وذلك من مصادرها الدينية واللغوية والتاريخية فيستوعبها ويفهمها فهماً واضحاً لا غموض فيه، فصنف منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد فلاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له ونستدل لذلك أيضاً على سرعة حفظه وفهمه لما قرأ وتعلم إذ كانت عنده القدرة والملكة العلمية القوية في هذا المجال. ثم تابع تأليف هذه الكتب العلمية بعد ذلك، فألف في التوحيد، والسيرة النبوية، والفقه وأصوله، ومصطلح الحديث، والفرائض، والوصايا والآداب والنصائح، نظماً ونثراً وقد أعجب بها العلماء المعاصرون له. وقد توفي الشيخ حافظ - رحمه الله - في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ بمكة المكرمة على إثر مرض ألم به، وهو في ريعان شبابه، حيث كان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر، ودفن بمكة المكرمة - رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفره -، ولقد كان لصدى وفاته على كل من عرف فضله من الرجال والنساء والأطفال وقع شديد. السيف، سعود بن صالح بن محمد. الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) حياته وآثاره. المملكة العربية السعودية: دار العاصمة للنشر والتوزيع. ط١. ١٤١٥هـ. ص: ١٩.

(٣) الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. الدمام: دار ابن القيم. ط١. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ٤٦/١.

له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال الرب في غير الله، إلا بالإضافة، والربوبية" كالربابة، وعلم ربوبي: أي منسوب إلى الرب على غير قياس، فتطلق على المالك، والمستحق، والصاحب، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق على غير مضاف إلا الله تعالى(١)، ومنه الرباني وهو المتأله العارف بالله عز وجل (٢).

- **والمعنى المحوري:** استغلاظ المائع ونحوه حتى يتماسك من أجل الإصلاح أو الانتفاع(٣).

ومفهوم توحيد الربوبية عند اصطلاح العلماء:

- هو: وهو بيان أن الله تعالى وحده خالق كل شيء (٤).
- وقال الشيخ ابن عبد الوهاب: هو الإقرار بأنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبّر الأمور إلاّ الله وحده (٥).
- وقال حافظ حكمي: "توحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه" (٦).
- وقيل: "هو الاعتقاد بأن الله خالق هذا العالم" (٧).

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: "ربب"، ج١ ص٣٩٩ -٤٠٠، / وانظر الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة" (رب)، ص٨٧، / وانظر الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: "ربب"، ج٢ ص٤٥٩.

(٢) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة" (رب)، ص٨٧.

(٣) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "ربب"، ج٢ ص٧٣٧.

(٤) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص٧٨.

(٥) عبد الوهاب، محمد، معنى كلمة لا إله إلا الله، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص٢.

(٦) الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ج٢ ص٤٥٩.

(٧) التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، مصر: مطبعة السنة المحمدية، ط٧، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، ص١٢.

- وقيل هو: توحيد الله بجميع أفعاله من الخلق والرزق وإنزال المطر والأمانة والإحياء وتسخير جميع الأفلاك وإمساك السماوات والأرض من الزوال [١].
- وقيل: "هو إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة: في الخلق، والملك، والتدبير" [٢].

فتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله -سبحانه وتعالى-، ومعناه: إفراد الله تعالى بأفعاله من الخلق، والملك، والتدبير، والرزق، والإحياء، والإماتة، وجلب النفع، ودفع الضر، وغير ذلك، فيعتقد المؤمن أن الله تعالى لا شريك له في ربوبيته، وهذا معناه أن الله تعالى رب كل شيء [٣].

ومن خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي للربوبية، فتعني أن الله سيد كل شيء، وصاحبه، ومالكه، وخالقه، ومدبره، ومصلحه، ورازقه، وجميع الخلق مقرون بهذه الحقائق، إلا الملاحدة الذين لا يعترفون بوجود إله أصلًا، ويعتقدون أنهم جاءوا من خلال الصدفة، أو بفعل الطبيعة، وهم في قرارة أنفسهم يعلمون علم اليقين أن لهذا الكون خالق ولكنه تبرير الكفر ليس أكثر.

والربوبية هي من جملة الصفات الفعلية فكل ما دل على الربوبية دل على الصفات. أما توحيد الإرادة والعمل فدلّ على معناه في السورة

---

(١) الدوسري، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، الكويت: مكتبة دار الأرقم، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص١٦.

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة الواسطية، السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط٦، ١٤١٢هـ، ج١ ص٢١.

(٣) طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دار المأثور، ط٢، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م، ص٢٤٨.

قوله تعالى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة: ٥] وقال ابن القيم عن سورة الفاتحة بشكل عام: وبنيت هذه السورة على الإلهية والربوبية والرحمة، فإياك نعبد مبنى على الإلهية، وإياك نستعين على الربوبية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده [١].

وتوحيد الربوبية يقصد به الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وربوبية الله على خلقه تعني: تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم، فتوحيد الله في الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه هو خالق الخلق ومحييهم ومميتهم ونافعهم وضارهم، ومجيب دعائهم عند الاضطرار، والقادر عليهم، وله الخلق، وله الأمر له، فهو تعالى الفاعل المطلق في الكون لا يشاركه أحد في فعله سبحانه [٢] قال تعالى: **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [الأعراف ٥٤]

❖ **وحقيقة هذا النوع:** هو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، قال تعالى: **{قَالَتْ**

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تفسير القرآن الكريم، ص١١.
(٢) الجنابي، مهدي قيس. مصطلحات علم التوحيد. مرجع سابق. ص: ٣١.

رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم: ١٠] وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنا به في الباطن قال تعالى: **{لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ}** [الأسراء: ١٠٢] وقال تعالى عنه وعن قومه: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [النمل: ١٤] (١).

وهذا النوع من التوحيد أقر به الجميع، قد فطرت على قبوله، والاعتراف به قلوب بني آدم، فلم ينكره إلا شذاذ قليلون، من بني آدم (٢)، كفرعون والنمرود ومن ادعى الألوهية، وسار على نهجهم من الملاحدة الذين لا يعترفون بوجود الخالق -سبحانه وتعالى- ويدَّعون أن الخلق نشأ عن طريق التطور، والانتخاب الطبيعي.

أدلة وجود الخالق:

ومن الممكن أن نقول أدلة الربوبية زهي تتمثل في الآتي:

١. **دليل الفطرة:** فإن الله جبل المخلوق على الإقرار بخالقه وفاطره، والاعتراف بربوبيته بدافع الفطرة، ذلك بأن الله تحبب إلى خلقه بنعمه، فهو خالقهم وموجدهم من العدم، وممتعهم بالنعم، والنفس فُطرت على حب من أحسن إليها، ومن هنا كان الإقرار بالربوبية

(١) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص٧٩.
(٢) ابن حميد، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، مكتبة طبرية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص٢٠.

جبلي فطري إلا عند من انطمست فطرهم، كالدهرين والملحدين من الشيوعيين والبوذيين وسائر المعاندين [١].

وقد أكد الحق سبحانه وتعالى على هذه الحقيقة في الحديث القدسي، فعن عياض بن جمار أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا، كل مال نحلته عبدا، حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا..." [٢]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها، قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين" [٣].

٢. **دليل التفكر في النفس:** فمن أدلة وجود الخالق وجود النفس البشرية وما تمر بها من أحوال، وصاحب العقل السليم هو الذي يفكر ويتأمل أنه وُجِدَ بعد عدم، ثم يمر بمراحل من طفولة، فصبى، فشباب، فكهولة، فهرم، وبهذه المراحل يستدل على ربوبية الله -تعالى- [٤].

---

(١) طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ص٢٤٨.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/ ١٩٧، برقم (٢٨٦٥)
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ٨/ ١٢٣، برقم (٦٥٩٩)
(٤) انظر طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ص٢٤٩.

وقد بيّن الحق –سبحانه وتعالى– مراحل خلق الإنسان فقال تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}** [المؤمنون: ١٢ – ١٤]؛ ولذلك أشار الحق سبحانه وتعالى إلى النظر في النفس أكثر من مرة في القرآن الكريم فقال تعالى: **{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}** [الذاريات: ٢١]

وقال النسفي: تفكروا في أحوال النفس من ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، ويكفيك ما ركز في القلوب، والعقول، وبالألسن والنطق، ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها [١].

٣. **التأمل في الكون والمخلوقات:** فلو تأمل الإنسان ما في الكون من عجائب لأدرك أن لهذا الكون إله خالق، لذلك أشار المولى عز وجل إلى التفكر في الكون؛ كي يرى الإنسان عجائب قدرة الله تعالى، قال تعالى: **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** [فصلت: ٥٣]، ومن جملة دلائل خلقه سبحانه في الآفاق ما يراه

(١) انظر النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، ج٣ ص٣٧٤.

الإنسان بصفة مستديمة ومستمرة كتلك الآيات الباهرة والمخلوقات العظيمة الدالة على ربوبية الله تعالى [١].

وقال تعالى: **{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ}** [الذاريات: ٢٠] قال النسفي: آيات تدل على الصانع، وقدرته، وحكمته، وتدبيره؛ حيث هي مدحوة، كالبساط لما فوقها، وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها، وهي مجزأة فمن سهل، ومن جبل، وصلبة، ورخوة، وعداة، وسبخة، وفيها عيون منفجرة، ومعادن متنوعة، ودواب منتشرة مختلفة الصور والأشكال، متباينة الهيئات والأفعال، وهذه الأدلة للموقنين أي: الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصّل إلى المعرفة، وتفكروا بعقول باصرة، فكلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا يقينًا على يقينهم [٢].

وقال الشيخ ابن عبد الوهاب: إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقتلهم ونهب أموالهم، واستحلّ نساءهم، كانوا مقرين لله سبحانه، بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضا يتصدّقون ويحجون ويعتمرون ويتعبّدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عزّ وجل، ولكن الأمر الثاني هو الذي كفّرهم وأحلّ دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية [٣].

(١) انظر طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ص٢٤٩.
(٢) انظر النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، ج٣ ص٣٧٤.
(٣) عبد الوهاب، محمد، معنى كلمة لا إله إلا الله، ص٢.

ومعنى ذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقرّ بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له [١].

ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية:

ولتوحيد الربوبية الكثير من الآثار والثمرات العظيمة منها ما يلي:

١. الاستدلال بالمخلوقات على خالقها يبعث في النفس اليقين بوجود خالق للكون، بخلاف منكر الربوبية، فهو يعيش في الحيرة والشك.
٢. الإيمان بالربوبية يبعث في النفس اطمئنانًا وسكينة.
٣. الإيمان بالربوبية يبعث الثقة في خالق الكون ومدبر شؤونه، وهذه الثقة تثبت عجز المخلوق وافتقاره التام لخالقه سبحانه.
٤. الإيمان بالربوبية يؤدي إلى تعظيم الخالق جل في علاه.
٥. الإيمان بالربوبية يؤدي إلى الإقرار بالألوهية [٢].

ثانيًا توحيد الألوهية:

معنى الألوهية في اللغة:

❋ **لفظ الألوهية أصله من "أله"**، فالهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسُمي بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل إذا تعبد، ومنه الإلاهةُ: وهي الشمس سميت بذلك؛ لأن قومًا

(١) التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص١٢.
(٢) انظر طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ص٢٥٦.

كانوا يعبدونها [١]، والإله: الله -عز وجل-، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه، والجمع الآلهة: وهي الأصنام، وسموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه، ومنه لاه ولاهم: أي الله [٢].

وقال الفيروز آبادي: واختلف فيه على عشرين قولًا، وأصحها أنه علم غير مشتق، وأصله إله، كفعال، بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبودا إله عند متخذه، بين الإلاهة والألهانية، بالضم، ومنه التأله: وهو التنسك، والتعبد، والتأليه: التعبيد، وألَهَهُ: أجاره، وأمنه [٣].

❋ **والمعنى المحوري:** (شفافية أو ضوء مع أثر تستشعر حدته)، ولكن إذا انطبق هذا المعنى المحوري على الشمس، فهل ينطبق على لفظ الجلالة (الله)؟ يرى فريق من العلماء إن لفظ الجلالة (الله) ليس من الأسماء التي يجوز اشتقاق فعل منها كما يجوز في الرحمن الرحيم، وقال فريق آخر إن أصله الإلاه، وحذفت الهمزة كما حذفت من الناس وأصله الأناس، فإذا جرينا على الرأي الثاني تأتى فيه من المعنى المحوري الذي ذكرناه معنى النور، والتعالي، والغيبية، واستشعار الأثر [٤].

(١) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، مادة: "أله"، ج١ ص١٢٧.
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: "أله"، ج١٣ ص٤٦٧.
(٣) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة: أله"، ص١٢٤٢.
(٤) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "أله"، ج٤ ص٢٠٠٧.

الألوهية عند اصطلاح العلماء:

❋ وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له [١].

وعرفه حافظ حكمي بأنه: "هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى" [٢].

- **وقيل:** هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده [٣].
- **وقيل هو:** هو إفراد الله تعالى بالعبادة كلها فلا يعبد غيره، ولا يدعى ولا يسأل سواه، ولا يستغاث ولا يستعان إلا به سبحانه، ولا ينذر ولا يذبح ولا ينحر إلا له، ولا يتوكل إلا عليه ولا يخشى إلا إياه، ولا يصرف أي شيء من أنواع العبادة إلا له [٤].
- **وقيل:** هو توحيد الله من عباده بجميع ما يفعلونه مما ينوبهم، ومما شرع لهم من العبادات التي تعبدهم بها [٥].
- **وقيل:** إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فلا يعبد إلا الله وحده، ولا يدعى إلا هو، دون غيره من الملائكة والنبيين والأولياء الصالحين وغيرهم [٦].

---

(١) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص٧٨.
(٢) الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول، ج٢ ص٤٥٩.
(٣) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد في مقاصد التوحيد، الرياض: مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص١٩.
(٤) طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ص٢٥٨.
(٥) الدوسري، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص١٦.
(٦) ابن حميد، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، ص٢١.

- **وقيل:** هو إفراد الله عز وجل بالعبادة؛ بألا تكون عبدًا لغير الله، لا تعبد ملكا ولا نبيا ولا وليًا ولا شيخًا ولا أمًا ولا أبًا، لا تعبد إلا الله وحده، فتفرد الله عز وجل وحده بالتأله والتعبد [١].

ويتضح من ذلك أن توحيد الألوهية يعني: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة التي شرعها لعباده وأمرهم بها، من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، ودعاء، ونذر، ونحر، ورغبة، ورهبة، وخوف، ورجاء، وخشية، وتذلل، وخشوع، وخضوع، واستعانة، واستغاثة، وتوكل، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، وهو توحيد الله تعالى بأفعال عباده التي أمرهم بها، فتصرف جميع أنواع تلك العبادة وغيرها لله وحده لا شريك له [٢]، وسُميّ بتوحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله هو توحيد ألوهية، وباعتبار إضافته إلى العابد فهو توحيد عبادة [٣].

- ❋ وهذا النوع هو الذي جحده الكفار وخاصموا رسلهم من أجله، فأوجب الله جهادهم وأباح دمائهم وأموالهم لإخلالهم بهذا الواجب العظيم الذي عليه مدار التوحيد، وأمر الله رسوله والمؤمنين إلى يوم القيامة أن يقاتلوهم ويحصروهم ويقعدوا لهم كل مرصد حتى يقيموا هذا الأصل العظيم بحب وإخلاص [٤].

- وقد أرسل الله رسله جميعًا لتحقيق هذا النوع من التوحيد فقال تعالى: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: ٥٩].

---

(١) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة الواسطية، ج١ ص٢٤.
(٢) طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ص٢٥٧.
(٣) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة الواسطية، ج١ ص٢٤.
(٤) الدوسري، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص١٦.

- وقال هود لقومه: **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: ٦٥].
- وقال صالح لقومه: **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [هود: ٦١].
- وقال إبراهيم عليه السَّلام لقومه: **{اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** [العنكبوت: ١٦]

وقد أجملّ سبحانه وتعالى القول وبيّن أنه ما من نبي إلا وكانت الكلمة الأولى التي يقولها لقومه أن اعبدوا الله، فقال تعالى مخاطبا لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء: ٢٥] ولأجل هذا النوع أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وجعل الخلود في الجنة لمن التزم به، والخلود في النار لمن كذّب وكفر به.

أركان توحيد الألوهية:

يقوم توحيد الألوهية على أركان ثلاثة هي:

- **الركن الأول توحيد الإخلاص:** ويسمى توحيد المراد فلا يكون للعبد مراد غير مراد واحد وهو الله سبحانه وتعالى فلا يزحمه مراد آخر.
- **الركن الثاني توحيد الصدق:** ويسمى توحيد أرادة العبد، وذلك بأن يبذل جهده وطاقته في عبادة ربه.
- **الركن الثالث توحيد الطريق:** وهو المتابعة للرسول -صلى الله عليه وسلم-، قال ابن القيم -رحمه الله- " فلو أحد كان واحدا في واحد، أعني سبيل الحق والإيماني، وقوله (فلو أحدًا): أي الله، وهذا هو

توحيد المراد، وقوله: (كن واحدًا في عزمك وصدقك وارادتك وهذا توحيد الإرادة [١].

ثمرات الإيمان بتوحيد الألوهية:

١. أنه الغاية الكبرى التي خلق الله من أجلها الخلق.
٢. أنه النعمة العظمى والمنة الكبرى التي امتن الله بهداية عباده إليها.
٣. السعادة في الدارين والفوز بالنجاة في الآخرة.
٤. أن تحقيقه من أعظم أسباب دفع النقم والعقوبات، ومن أسباب تفريج الكروبات، وحلول الخيرات.
٥. أنه سبب لتحقيق الكرامة والعزة للمؤمن، فمن حقق كمال التوحيد تولاه الله وفرغ قلبه لمحبته ولسانه لذكره.
٦. إنه من أعظم أسباب الاستخلاف والتمكين في الأرض [٢].

توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم وسنة النبي -صلى الله عليه سلم-.

- **وقيل:** هو إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل [٣].

---

(١) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة. الرياض: مكتبة الرشد. ص: ١٢٥.
(٢) انظر طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ص٢٥٨ – ٢٥٩.
(٣) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر، ط٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص٤٠.

- **وقيل:** هو اعتقاد انفراد الرب -جلَّ جلاله- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه [١].
- **وقيل:** هو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من صفات الله تعالى؛ صفات ذاته وأفعاله، بأن نصفه بها كما وصف نفسه وكما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بلا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل [٢].

إن توحيد الأسماء والصفات يدل على وحدانية الله تعالى في الألوهية- وذكر ذلك السعدي بقوله: "ويدعوهم ايضا الى هذا الأصل بما يمتدح به". ويثني على نفسه الكريمة، من تفرد بصفات العظمة والمجد والجلال والكمال، وأن من له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك أحق من أخلصت له القلوب والأعمال الظاهر والباطنة [٣].

- **قال ابن تيمية:** الأصل في هذا النوع أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه

(١) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد في مقاصد التوحيد، ص١٨.
(٢) الدوسري، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص١٧، / وانظر ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد في مقاصد التوحيد، ص١٨.
(٣) آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد. القواعد الحسان لتفسير القرآن. الرياض: مكتبة الرشد. ط١. ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م. ص: ١٧.

عن نفسه – مع ما أثبته من الصفات – من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه [١].

- وقال ابن القيم: إن دلالة الأسماء الخمسة تدل على الصفات وهي: (الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والملك)، فمبني على أصلين:

- **الأصل الأول:** أن أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس، فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت المنتقم، واللهم أعطني، فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك [٢]، فيبين هنا ابن القيم العلاقة بين الأسماء والصفات، فلا بد من معاني مشتركة ومتناسبة بين الأسماء والصفات.
- **والأصل الثاني:** أن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، فإن اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها، وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التدمرية، ص٧.
(٢) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١ ص٥٢.

الحي وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه وصفاته، لكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه (١).

فمن الواجب على المسلم الحق أن يعتقد أت لله صفات وهي ما وصفه به نفسه في كتابه فمثلًا من صفات الله التي وصف بها نفسه (الاستواء):

- قال تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [الأعراف: ٥٤].
- وقال تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [يونس: ٣].
- وقال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [الرعد: ٢].
- وقال تعالى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه ٥].
- وقال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [السجدة: ٤].
- وقال تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [الحديد: ٤] فهذه الآيات القرآنية أخبر الله عن نفسه بالاستواء على العرش، وقد سئل الإمام مالك –رضي الله عنه– عن معنى الاستواء فقال: "الاستواء غير مجهول، والكيف

(١) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١ ص٥٤.

غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج" [١].

ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات:

وهذه العقيدة السامية المتضمنة للإيمان بالله تعالى تثمر لمعتقدها ثمرات جليلة منها ما يلي:

١. يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه.

٢. إن القيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع [٢].

وقال ابن عثيمين: وعقيدة أهل السنة في هذا النوع من التوحيد هو أن سمى الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه على وجه الحقيقة، لا تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل مثال ذلك: إن الله -سبحانه وتعالى- سمى نفسه بالحي القيوم فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله -تعالى- ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف، وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء [٣].

---

(١) ابن حميد، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، ص٤٤.

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، عقيدة أهل السنة والجماعة، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط٤، ١٤٢٢هـ، ص٣٢.

(٣) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج١ ص٢٢.

العلاقة بين أنواع التوحيد

ومن خلال ما سبق اتضح لنا أن هناك من يؤمن بتوحيد الربوبية ولا يؤمن بتوحيد الألوهية، فهذا لا يُعد من المسلمين فكما علمنا أنّ المشركين أنفسهم أقروا بأن الله هو الخالق، وهذا توحيد ربوبية، ولكنهم لم يقروا بأنه المستحق بالعبادة، فعبدوا الأصنام والأوثان اعتقادًا منهم أنها تقربهم إلى زلفى، قال تعالى: **{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}** [الزمر: ٣].

فالتوجد علاقة تربط بين أقسام التوحيد الثلاثة وهذه العلاقة تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

١. علاقة تلازم، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.
٢. علاقة تضمن، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.
٣. علاقة شمول، وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين [١].

فإن المسلم الحق والموحد الحق يجب عليه أن يعلم أن توحيد الألوهية يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ وذلك لأن الألوهية صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه الإله المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية يلزم منه ألا يستحق العبادة أحدٌ سواه [٢].

---

(١) إسماعيل، أبو عبد الرحمن أيمن، الأربعون العقدية، أربعون حديثا في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مصر: دار الآثار، ط١، ٢٠٢١م، ج٢ ص٩٣٥.
(٢) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد في مقاصد التوحيد، ص١٩.

وبناءً على علاقة الاستلزام بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فقد حكم القرآن بكفر من جعل لله -تعالى- ندًا في الدعاء، وإن كان مقرًا في الجملة بتوحيد الربوبية، فلم يك ينفعهم إيمانهم بالله -تعالى- الرب المدبر المحيي المميت مع إشراكهم به في الدعاء، بالتوجه إلى الوسائط ودعائها من دون الله تعالى، فإن الذين قاتلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعتقدوا في اللات والعزة ومناة قدرة على الخلق، ولا الإحياء، ولا التدبير، ولا غير ذلك من صفات الربوبية، بل جعلوها قربة وقبلة لدعائهم يتقربون بها الله -تعالى- زلفى، ومع ذلك فقد حكم عليهم الله بالكذب في دعواهم، وبالكفر في دعائهم، فقال: **{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}** [الزمر: ٣] (١).

ومعنى ذلك أن من أقر بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله -تعالى- لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه، وهذا هو توحيد الألوهية، فإن الألوهية هي العبادة، فالإله معناه: المعبود، فلا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح القرابين وتنذر النذور ولا تصرف جميع أنواع العبادة إلا له، فتوحيد الربوبية دليل لوجوب توحيد الألوهية؛ ولهذا كثيرا ما يحتج الله -تعالى- على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية، قال تعالى: **{يَاأَيُّهَا النَّاسُ**

(١) إسماعيل، أبو عبد الرحمن أيمن، الأربعون العقدية، أربعون حديثا في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج٢ ص٩٣٧، / وانظر الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، د.ط، ص١١.

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١ – ٢٢] (١).

فمن قال (لا إله إلا الله) فقد أعلن البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والتزم القيام بعبادة الله، وذلك عهد يقطعه الإنسان على نفسه، فلا إله إلاّ الله، إعلان لتوحيد العبادة، لأنّ الإله معناه: المعبود، فمعناها: لا معبود بحق إلاّ الله، فمن قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانيّة لله، مع اعتقاد ذلك والعمل به فهو المسلم حقا (٢).

وتوحيد الأسماء والصفات من جنس توحيد الربوبية، قد أقروا به وعرفوه، وتوحيد الربوبية يستلزمه؛ لأن من كان هو الخلاق الرزاق والمالك لكل شيء، فهو المستحق لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا تدركه الأبصار وهو السميع العليم (٣). إن مفهوم توحيد الصفات هو الإيمان بأن الله وحد الذي ينفرد أن يتصف بالصفات والأسماء الكاملة. ولذلك يجب علي المسلم أن يؤمن بصفات الله وأسمائه كما وصف الله نفسه في القرآن ووصف به رسوله في الحديث

(١) الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، د.ط، د.ت، د.ن، ٣٢.
(٢) الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله، ص١٧.
(٣) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع: محمد بن سعد الشويعر، السعودية: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، د.ط، ج١ ص٣٨.

سواء كان نفيا أو إثباتا، وكان السلف يصفون الله كما وصفه الله نفسه ووصف به رسوله دون تحريف ولا تعطيل، ودون تكييف ولا تمثيل وأنهم نفوا ما نفي الله عن نفسه وأثبتوا صفاته كما أثبت الله دون إلحاد، ليس في أسماء ولا في آياته" (١).

❋ وقد أوضح بعض أهل العلم هذه العلاقة بقوله: هي علاقة تلازم وتضمن وشمول، (فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية)، وتوحيد الألوهية متضمن التوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا (٢).

رد ابن تيمية على من نفي الصفات دون الأسماء:

وهناك من كان يؤمن بأن لله أسماء، لكن نفى عنه الصفات اعتقادًا منهم أنهم ينزهون الله تعالى، ونسوا أن الله تعالى هو الذي وصف نفسه بهذه الصفات، وهم في الحقيقة معطلة، وقد رد على هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية وألزمهم الحجة.

❋ فقال ابن تيمية: لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات؛ فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيها وتجسيما، لأنا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات إلا ما هو جسم، قيل لك: ولا تجد في الشاهد ما هو مسمى بأنه حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا لجسم فانف الأسماء، بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا لجسم، فكل

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، التدمرية، ص:٤.
(٢) زكريا، أبو بكر محمد. الشرك في القديم والحديث. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. ط ١. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ٩٧/١.

ما يحتج به من نفى الصفات، يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي الصفات [١].

❋ وقال ابن القيم: إن نفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى: **{وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الأعراف: ١٨٠] وهذه الأسماء إن كانت خالية من الصفات والمعاني ما وصف الله بها نفسه، ولكنه أخبر بانه وصف نفسه بها وأثبتها لنفسه إذن فهذه الأسماء لها معاني وصفات [٢].

رد ابن تيمية على من نفى الصفات والأسماء:

وهناك من نفى الصفات والأسماء ويطلق عليهم النفاة فردّ عليهم ابن تيمية قائلًا: وإن كان المخاطب من الغلاة نفاة الأسماء والصفات، وقال: لا أقول هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، بل هذه الأسماء لمخلوقاته، أو هي مجاز، لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم القدير، قيل له: وكذلك إذا قلت: ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، كان ذلك تشبيها بالمعدومات، وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات، فإن قال: أنا أنفي النفي والإثبات، قيل له: فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجودًا معدومًا، أو لا موجودًا ولا معدومًا، ويمتنع أن يوصف باجتماع الوجود والعدم، والحياة والموت، والعلم والجهل، أو يوصف بنفي الوجود والعدم، ونفي الحياة والموت، ونفي العلم والجهل [٣].

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التدمرية، ص٣٥.
(٢) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١ ص٥٢.
(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التدمرية، ص٣٦.

وهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد وإن كانت تبدو متغايرة في المفهوم إلا أنها متلازمة في الوجود بحسب العقل، فإنه كلما ثبت له سبحانه الانفراد بشئون الربوبية كلها من الخلق، والملك، ونحوها فقد ثبت له الانفراد باستحقاق العبادة، إذ لا يستحق ذلك إلا من كان خالقا مالكًا.

❋ ونستخلص من ذلك أن توحيد المعرفة والإثبات –وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات– مستلزم لتوحيد الألوهية الذي هو التوحيد العملي، بمعنى: أن من أقر بتوحيد الربوبية وأن الله هو الرب الخالق الرازق المالك المحيي المميت وبكافة أسمائه وصفاته يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية فيخلص العبادة الله ولا يشرك معه أحد غيره.

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات بمعنى: أن من عبد الله ووحده فإن ذلك متضمن لإقراره بأن الله ربه وخالقه ورازقه، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلا، التي تدل على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له [1].

ومن أتقن هذه الأنواع الثلاثة، وحفظها واستقام على معناها، علم أن الله هو الواحد حقًا، وأنه هو المستحق للعبادة دون جميع خلقه، ومن ضيع واحدًا منها أضاع الجميع فهي متلازمة، لا إسلام إلا بها جميعًا، ومن أنكر صفات الله وأسماءه، فلا دين له، ومن زعم أن مع الله مصرفًا للكون يدبر الأمور، فهو كافر مشرك في الربوبية بإجماع أهل العلم،

(١) التميمي، محمد بن خليفه بن علي. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات. الرياض: أضواء السلف. ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.ص: ٤٠.

ومن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، ولكن لم يعبد الله وحده، فقد أشرك بالله وكفر به سبحانه، ولا تنفعه بقية الأقسام لا توحيد الربوبية، ولا توحيد الأسماء والصفات، حتى يجمع بين الثلاثة [١].

(١) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ج١ ص٤٠.

الفصل الرابع

قراءة تحليلية للوازع الديني

مفهوم الوازع الديني في اللغة:

الوازع مأخوذة من (وزع) فالواو والزاي والعين: بناء موضوع على غير قياس، ووَزَعْته عن الأمر: كَفَفْته، قال الله {فَهُمْ يُوزَعُونَ} [النمل: ١٧]، أي يحبس أولهم على آخرهم، وجمع الوازع وزعة، وفي بعض الكلام: "ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن" أي إن الناس للسلطان أخوف، وبناء آخر، يقال: أوزع الله فلانا الشكر: ألهمه إياه، ويقال: هو من أوزع بالشيء، إذا أولع به، كأن الله تعالى يولعه بشكره، وبها أوزاع من الناس، أي جماعات (١).

ومنه وزعته أزعه وزعًا: أي كففته، فاتزع هو، أي كف، وأوزعته بالشيء: أغريته به فأوزع به، فهو موزع به، أي مغرى به، واستوزعت الله شكره فأوزعني، أي استلهمته فألهمني، والوازع: الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر، وقال الحسن: "لا بد للناس من وازع" أي: من سلطان يكفهم، ومنه التوزيع: القسمة والتفريق، ويقال: توزعوه فيما بينهم، أي تقسموه، والمتزع: الشديد النفس، وأوزعت الناقة ببولها، إذا رمت به رميا وقطعته، أوزاع الناس: جماعات، والأوزاع: بطن من همدان، ومنهم الأوزاعي (٢).

---

(١) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، مادة: "وزع"، ج٦ ص١٠٦، / وانظر ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: "وزع"، ج٨ ص٣٠٩.

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مادة: "وزع"، ج٣ ص١٢٩٧ – ١٢٩٨.

والوازع هو الذي يكف الناس ويمنعهم من الشر. والوازع في الحرب: هو المُوكّل بالصفوف يَزَعُ من تقدم منهم بغيرِ أمره (١).

وقد ورد لفظ الوازع في القرآن الكريم في خمسة مواضع، ثلاث مواضع في سورة النمل، بقوله تعالي: **{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}** [النمل: ١٧]، **{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}** [النمل: ١٩]، **{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ}** [النمل: ٨٣].

وجاءت كلمة الوازع ايضًا في قوله تعالي: **{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}** [فصلت: ١٩]، وقوله تعالي: **{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** [الأحقاف: ١٥] ومنه قول الحسن البصري لما ولى القضاء: "لابد للناس من وزعه"، أي: أعوان يكفونهم عن الشر والفساد، وفي رواية: "من وازع " أي: من سلطان يكفهم ويزع بعضهم بعضا (٢).

---

(١) البغدادي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي. غريب الحديث. تحقيق: محمد عبد المعيد خان. حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية. ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. ٢٢٨/٣.

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط١، ٢٠٠١م.ص: ٣٨٨٤.

الوازع: هو اسم غلب إطلاقه على ما يزع من عمل السوء، والمادة تدور على معنى المنع، تقول: وازعته أي مانعته، ولا بد للناس من وزعة أي من كفة عن الشر والبغي، وفلان متزع: عزيز النفس ممتنع، وهو يتنوع باختلاف مصدره: فهناك الديني الذي مصدره الوحي، والسلطاني الذي مصدره السلطان والجبلي المنسوب إلى الجبلة وهي الطبيعة التي خلق عليها الإنسان(١).

فالوازع يتضمن في معناه تحريك الواعظ في قلب المكلف بحيث يجعل الجاني نكالًا وعظة وعبرة لمن يريد أن يفعل فعله، كما أنّه يحمل معنى المحاسب والمؤدّب للنفس، ويكون الوازع الكثير من الأحيان الدافع أو الباعث الذي يساعد الإنسان على فعل ما ينفع والابتعاد عما يضر، فالوازع بمثابة المرشد لسلوك الإنسان في الحياة(٢).

وقال أبو عبيد– في حديث أبي بكر – رضي الله عنه – وقد شكي إليه بعض عماله – فقال: "أأنا أقيد من وزعه الله"، الوزعة جمع الوازع، والوازع هو من يكف الناس ويمنعهم عن الشر.... فكأن أبا بكر إنما أراد: إني لا أقيد من الولاة الذين يزعون الناس عن محارم الله تعالى، يعني: إذا كان الفعل منهم بوجه الحكم والعدل لا بوجه الجورة (٣). والوازع في النظر الشرعي لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ فهو يأتي بمعنى الإلهام والميل.

---

(١) الغرياني، جمال محمد عز الدين. الوازع: أنواعه - مراتبه – مقاصده. مجلة العلوم القانونية، جامعة الزيتونة - كلية القانون ترهونة. المجلد: ٢، العدد (٤)، ٢٠١٤م. ص: ١٦٤.

(٢)ابن حرز الله، عبد القادر، موفق، نبيل. مراتب الوازع وأثرها في تعميق فقه المواطنة. مرجع سابق، ص: ٣٤٥.

(٣)الهروي، القاسم بن سلام. غريب الحديث. تحقيق: محمد عبد المعيد خان. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٣٩٦هـ. ط١. ج٣. ص:٢٢٨.

فالوازع من الكلمات الغنية بالمعاني في اللغة العربية، فمن خلال ما سبق نجد أنّ من معاني هذه الكلمة ما يلي: فتأتي بمعنى (الخوف، الإلهام، الولع، الكف، أغرى، والقائم على إصلاح الصف، القسمة، الرمي، المؤدب، الواعظ، الدافع والباعث)، ولكن هذه المعاني مع اختلافها إلا أنها تشترك جميعًا في معنى واحد يطلق عليه المعنى المحوري.

والمعني المحوري لهذا اللفظ هو: الكف عن الانتشار تجاوزًا للجماعة أو تخطيًا ومفارقة، كضم أفراد الجيش في فرقة أو صف لا يشذ أحد عن المجموعة [١].

مفهوم الوازع الديني في الاصطلاح:

وبعد أن اتضح لنا التعريف اللغوي للوازع نتجه إلى المعنى الاصطلاحي عند العلماء ليتضح لنا المعنى الشرعي، ولكن الأصوليين القدامى لم يتطرقوا إلى تعريف اصطلاحي للوازع؛ وذلك لأن معناه لا يخرج في غالبه عن المعنى اللغوي؛ وعرف ابن عبد البر الوازع بأنه: "هو المانع الذي يكف"[٢].

وعرفه ابن عاشور بقوله: الوازع اسم غلب إطلاقه إلى ما يزع من عمل السوء [٣]، ويُعد هذا التعريف من أدق التعريفات للوازع، وذلك

(١) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "وزع"، ج٢ ص٨٩٧.
(٢) ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار. تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ٤٠١/٤.
(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تحقيق: محمد الظاهر الميساوي. الأردن: دار النفائس. ط١. ٢٠٠١م. ص: ١٣٧.

لأنه تعريف جامع مانع؛ لأنه وضح الهدف الأسمى من الوازع وهو الكف عن عمل السوء.

وعرفه ابن الأثير بأنه: عبارة عن معنى قائم بالنفس، يمنع عن الشر ويدفع إلى الخير على وجه التلقائية والعادة، فإن قوله تعالي: {قَالَ رَبِّ أَوزِعني}، وتأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك، وكفني عما يباعدني عنك [١]، وقد عرفه ابن الأثير بمعنيين فعرفه على أنه باعث في دفعه إلى الخير، ومانع في منعه للشر، ولك ان تقول عرفه بمعنى الواعظ الذي يعظ بفعل الخير، والبعد عن فعل الشر.

وعرفه السيد سابق بأنه: "الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب، يحث على أداء الواجب، وينهى عن التقصير، ويحاسب بعد أداء العمل، مستريحًا للإحسان مستنكرًا للإساءة [٢]، وهذا التعريف قريب جدًا من عنى النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل الشر، وعلى عدم الإكثار من فعل الخير، قال تعالى: **{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** [القيامة: ١ – ٢] وهذا ما يطلق عليه بالضمير، فيجد الإنسان المقصر في الطاعات تأنيب من داخل النفس يحثه على الإكثار من فعل الخير، وينهاه عن فعل الشر.

والوازع بهذا المعني قريب من معنى الحياء، قال ابن القيم معرفًا الحياء بأنه: الحياء من الله يدل على مراقبته وحضور القلب معه، لأن فيه من تعظيمه وإجلاله ما ليس في وازع الخوف، فمن وازعه الخوف

---

(١) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. ٣١٩/٨.

(٢) سابق، السيد. عناصر القوة في الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٣٩٨هـ. ص: ٤٨.

قلبه حاضر مع العقوبة، ومن وازعه الحياء قلبه حاضر مع الله [١] فالخائف يمتنع من المعصية لأن قلبه متعلق بالعقاب، أما الذي يستحيي من الله فيمنعه الحياء ومحبة الله.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الوازع يتضمن في معناه تحريك الوعظ في قلب المكلّف بحيث يجعل من الجاني عبرةً وعظةً لمن يريد أن يفعل فعله فيكون زاجرًا له، كما ويحمل معنى المحاسب والمؤنّب للنفس الأمارة بالسوء، فالوازع أحيان كثيرة هو الدافع أو الباعث الذي يساعد المكلف على الإتيان بالطاعات، ويعتبر الوازع هو المذكر بعذاب الله والعقوبة المترتبة على الجريمة، وهو المذكر أيضاً بالثواب المترتب على الصالحات، فيكون الوازع بمثابة المرشد لسلوك الإنسان في الحياة [٢]. وقد خَلُص لنا من خلال أقوال العلماء في معنى الوازع سواء باللفظ أو الصريح أو بالكناية الدالة عليه جملة من الأمور منها ما يلي:

١. أنّ الوازع يتضمن في معناه أيضًا تحريك الواعظ في قلب المكلف بحيث يجعل الجاني نكالًا وعظة وعبرة لمن يريد أن يفعل فعله.
٢. أنّ الوازع أيضًا في مفهومه الواسع يحمل معنى المحاسب والمؤنب للنفس الأمارة بالسوء.
٣. أنّ الوازع يكون في أحيان كثيرة هو الدافع أو الباعث الذي يساعد المكلف على الإتيان بالطاعات.

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: عصام الدين الصباطي. القاهرة: دار الحديث. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ص: ٢٨٣.

(٢) موفق، نبيل. رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. جامعة الحاج لخضر باتنـــة. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ص: ٢٣.

٤. أنّ الوازع هو المذكر بعذاب الله والعقوبة المترتبة على الجريمة، وهو المذكر أيضاً بالثواب المترتب على الصالحات، فيكون الوازع بمثابة المرشد لسلوك الإنسان في الحياة [١].

٥. أنّ النّاس مختلفون من حيث الوازع، فمنهم من يتعظ بباعث من نفسه وضميره، ومنهم من يتعظ بباعث الحياء والخوف من الله تعالى، ومنهم يتعظ خوفًا من العقاب، ومنهم من يتعظ خوفًا من السلطان، ومن النّاس من لا يتعظ بشيء ولهؤلاء شرع الله الحدود والعقوبات.

المفاهيم المرتبطة بالوازع الديني

توجد أنواع كثيرة من الإلزام الخُلقي تُعد ذات صلة كبيرة وهامة بالوازع الديني والأخلاقي، كما أنها من حيث اللفظ تُعد وثيقة الصلة بمعنى الوازع، ومنها ما يلي:

أولًا: الضمير

وهو في اللغة مشتق من (ضمر) فالضاد والميم والراء، أصلان صحيحان، أحدهما يدل على دقة في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستر، والمعنى الثاني هو المطلوب في هذا الصدد، ويراد كل شيء غاب عنك فلا تكون منه على ثقة فهو ضمار [٢].

---

(١) موفق، نبيل. أثر الوازع الديني في رعاية وحفظ الأمن القضائي – القضاء والشهادة أنموذجًا. جامعة الوادي: مجلة الدراسات الفقهية والقضائية المجلد:٣، العدد: ٢، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م .ص: ٧٨.

(٢) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، مادة: "ضمر"، ج٣ ص٣٧١.

- **وفي الحديث:** "فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله. فإن ذلك يرد ما في نفسه" (١).
- **ومنه الضمير:** وهو السر وداخل الخاطر، والجمع الضمائر، وقال الليث: الضمير الشيء الذي تضمره في قلبك، وأضمرت الشيء أي: أخفيته، وأضمرته الأرض: غيبته إما بموت وإما بسفر (٢)، وأضمر الضمير في نفسه أخفاه، والخبر أو الشيء: استقصاه، وفي نفسه شيئاً: عزم عليه، وأضمرت المرأة حملت وأضمرت الأرض الرجل غيبته إما بسفر أو بموت وأضمر الشاعر أتى بالإضمار في شعره (٣)، والمعنى المحوري: استرسال تضام الجرم بعضه في بعض مشتدا وذهاب الرخاوة من بين أثنائه (٤).

الضمير اصطلاحًا:

- **قيل:** إن الضمير قلب الانسان وباطنه، والضمير استعداد نفسي لإدراك الخبيث واستقباحه، وإدراك الطيب واستحسانه.
- **وقيل:** تحكم النفس الإنسانية قوة خفية تأمرها وتنهاها تحذرها، وتحتها سماها العلماء: "الضمير"، وسماها بعضهم: "الوجدان"، وسماها الإسلام "القلب"، وهذا الضمير أو الوجدان أو القلب هو عماد الأخلاق، وركيزتها الأولى، فيرغب في خيرها، ويزع عن شرها. (٥)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة، فوقعت في نفسه، إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها، ٢/ ١٠٢١، رقم (١٤٠٣).
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: "ضمر"، ج٤ ص٤٩٢.
(٣) أبو حاقة، أحمد. معجم النفائس الكبير. بيروت: دار النفائس. ١٤٢٨/٢٠٠٨م. ص: ١١١٨.
(٤) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "ضمر"، ج٣ ص١٢٩٩.
(٥) القرضاوي، يوسف. الإيمان والحياة. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١٦. ص:١٩٢.

ثانيًا: الحياء

- **الحياء لغة:** الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة. فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان. ويسمى المطر حياً لأن به حياة الأرض... والأصل الآخر: قولهم استحييت منه استحياء.(١)
- **اصطلاحًا:** خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.(٢)

الحياء وصف يزع الإنسان إلى العمل الصالح، ويزجره عن العمل السيئ، ولأنه بهذا المعنى فإن النبي – قد أمر بالتخلق به، فقد مر– على رجل من الأنصار وهو يحظ أخاه في الحياء(٣).

فالحياء خلق يمنع صاحبه من الانغماس في الشهوات والمنكرات، فإذا انصرف خلق الحياء عن الإنسان جاز له كل محظور، وهان عليه من الأفعال ما يشاء، وهذا ما أشار اليه قول النبي: {إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ}.(٤)

ويشبه أن يكون الحياء خوف الذم والتوقي من الاستكبار، وقول السوء؛ لأن من استحى، فإنما ترك لأجل استحيائه ما يوجب فعله ذمًا، أو ما ترى أنه يجلب إليه ذمًا سواء كان الذم لقبح الفعل في نفسه أو

(١) ابن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة: "حي"، ج٢ ص١٢٢.
(٢) ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج١ ص٥٢.
(٣) موفق، نبيل. رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي. مرجع سابق. ص: ٣٦.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب أحاديث الأنبياء: باب حديث الغار، الحديث رقم: ٣٤٨٣. ١٧٧/٤.

لمخالفته عادة الناس في مثله، أو لأن المتوقع من فاعله كان خلافه. (١)

إن الحياء يحجر صاحبه من فعل القبيح، ويكف النفس عن الهوى، ويمكن أن يكون فطريًا أو دينيًا، وهذا ما يشترك فيه مع الوازع، فلو كان المنع بسبب الخوف من الله فهو حياء من الله تعالى، وإن كان بسبب الخوف من الناس فهو حياء من الناس، وإن من نفسه فهو حياء من النفس، وأفضل الحياء هو ما كان من الله تعالى.

ثالثًا: الخوف والرجاء

- **الخوف لغة:** تدل مادة (خ وف) على الذعر والفزع، يقول ابن فارس: الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع، يقال خفت الشيء خوفا وخيفة (٢)، وخاف الرجل يخاف خوفا وخيفة ومخافة فهو خائف، والأمر منه خف بفتح الخاء، وخاوفه فخافه يخوفه غلبه في الخوف أي كان أشد خوفا منه (٣)، والمعنى المحوري فراغ كبير في جوف الشيء؛ لذهاب ما كان يشغله أو انتقاصه (٤).

والخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى، ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية

---

(١) الجرجاني، أبو عبد الله الحليمي، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري. المنهاج في شعب الإيمان. تحقيق: حلمي محمد فودة. دار الفكر. ط١. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
(٢) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، مادة: "خوف"، ج٢ ص٢٣٠.
(٣) بن حميد، صالح بن عبد الله. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ص: ١٨٦٦.
(٤) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "خوف"، ج١ ص٥٨٤.

من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعًا، أو بحسب معرفته بعيوب نفسه، ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، تكون قوة خوفه [١]، وقد يكون الخوف من عذاب الله وعقابه.

والخوف من الله تعالى هو الذي يزع عن المخالفات لما رتب عليها من العقوبات [٢]، أي يزجر الإنسان، ويجنبه الوقوع في المخالفات الشرعية، وقد عاب الله تعالى على الذين يخشون الناس ولا يخشون الله، فقال تعالى: **{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}** [النساء: ١٠٨].

وعلاقة الوازع بالخوف والرجاء أن الوازع هو المانع عن الوقوع في المعاصي خوفًا من الله، والدافع أو الباعث إلى إتيان الطاعات رجاء ثواب الله، وبذلك تضمن الوازع كلًا من معاني الخوف، فالترغيب والترهيب من أساليب التربية والالتزام، ومن أساليب الدعوة إلى الله تعالى، فمن الناس من ينفع معه الترغيب، ومن الناس من لا ينفع معه إلا الترهيب.

(١) فريد، أحمد. تزكية النفوس. الإسكندرية: الدار العالمية. ١٤٢٦م/ ٢٠٠٥م. ص: ١٠٨.
(٢) العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. بيروت: دار الكتب العلمية. ج١ ص١٩٨.

رابعًا التقوى والورع:

- **التقوى في اللغة:** من (وقى)، والواو، والقاف، والياء: كلمة واحدة تدل على دفع الشيء عن شيء بغيره، والوقاية: ما يقي الشيء، واتق الله، توقه أي اجعل بينك وبينه كالوقاية، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" (١).

وقال الأصفهاني: وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية وقاء (٢)، قال تعالى: **{فَوَقَتْهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّتَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا}** [الإنسان: ١١].

فالتقوى هي الخشية والخوف، وتقوى الله خشيته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه (٣).

وقيل: جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة بالتقوى، وتسمى التقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، وصارت التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور"(٤).

والمعنى المحوري لهذا اللفظ هو: حفظ من الأذى أو الضرر باتخاذ حاجز دونه (٥).

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: "وقى"، ج٦ ص١٣١، / والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ٢/ ١٠٩، رقم (١٤١٧).

(٢) الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. مفردات الألفاظ القرآن. دمشق: دار القلم. ط٢. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. مادة وقي، ص: ٨٨١.

(٣) مجموعة من المؤلفين، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢، مادة: "وقى"، ج٢ ص١٠٥٢.

(٤) مصطفي، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط. ط٢. ١٩٧٢م. ص: ٨٨١. مادة وقي.

(٥) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "وقى"، ج٤ ص١٧٢٢.

- **التقوى في الاصطلاح:** هي الاستقامة على طاعة الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، بإخلاص، ومحبة، وصدق، وخشية الله بالغيب وفق ما بين من أؤتمن على بيان القرآن، رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، كما تعني الحرص على كل ما فيه قربة إلى الله تعالى – تصل بالمؤمن إلى حسن العاقبة يوم الدين. (١)

إن التقوى لها جناحان:

- جناح الطاعة والإقبال عليها.
- وجناح المعصية والإعراض عنها.

وهذا المعنى متضمن في أحد أنواع الوازع وهو الوازع الديني.

وفي بيان صلة التقوى بالوازع يقول الإمام ابن عاشور: "والقلب المطبوع على السَّماحة والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد، لأنَّ التَّقوى تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المفطور على الرأفة والسَّماحة لين يزعه عن المظالم والقساوة، فتكون التقوى أقرب إليه، لكثرة أسبابها فيه" (٢)، ويظهر وجه الاختلاف بين التقوى والوازع في مصدر كل واحد منهما، فالتقوى مصدرها الدين، أما الوازع فمصدره الجبلة والدين والسلطان.

خامسًا: العصمة

- **العصمة في اللغة:** من عصم، فالعين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك، ومنع، وملازمة، والمعنى في ذلك كله

(١) الصالح، محمد أديب. التقوى في هدي الكتاب والسنة وسير الصالحين. دار القلم. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠. ط١. ج١ ص١٥.
(٢) قمورة، كمال. الوازع وأثره في الأحكام عند الإمام الطاهر ابن عاشور. مرجع سابق، ص: ٢٤.

معنى واحد من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله –تعالى–: إذا امتنع، واستعصم: التجأ [١].

وأصل العصمة في كلام العرب المنع، يقول ابن منظور: العصمة في كلام العرب المنع [٢]، ومنه قوله تعالى **{وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}** [يوسف: ٣٢] أي: امتنع، وسميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية)[٣]، والمعنى المحوري هو: امتساك طبقة كثيفة بظاهر شيء بشدة [٤].

– **العصمة في الاصطلاح:** عصمة من الله عز وجل للعبد عن المعصية حفظة ومنعه عنها، مثل إعانته على الطاعة، كلاهما توفيق من الله سبحانه وتعالي؛ فليس معني العصمة عدم القدرة على المعصية، كما يقول البعض [٥]؛ بل معناه: حفظ الله عز وجل ومنعه عبده من المعصية.

والعصمة يقصد بها أن الله سبحانه وتعالى عصم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ونزههم عن الكذب، والخيانة، والكتمان، والتقصير في التبليغ، وعن الكبائر كلها والصغائر، فهم عليهم السلام لا يتركون واجبًا ولا يفعلون محرمًا ولا يتصفون إلا بالأخلاق العظيمة التي تجعل منهم

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: "عصم"، ج٤ ص٣٣١.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ٢٩٧٦/٣٢.
(٣) القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. ج٩ ص١٨٣.
(٤) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: "عصم"، ج٣ ص١٤٧٦.
(٥)الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء. ٢٠٠١/١٤٢٢م. ١٠٠/٢٣.

القدوة الحسنة، والله تعالى هو الذي تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم. (١)

فالعصمة عند الأنبياء جبلية وهي راسخة في نفوسهم، ويمكن أن تكتسب بتعاليم الدين والتربية الخلقية الحسنة، قال رشيد رضا العصمة وازع نفسي راسخ في النفس وهي في الأنبياء فطرية، وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من ملكة الفضيلة ما يربأ بنفوسهم عن موافقة الفجور والدنايا.

ويمكن القول إن الإنسان المعصوم يحال بينه وبين المعاصي لشعوره بزاجر يزجره ويردعه عن ارتكابها، وبهذا تظهر صلة العصمة بالوازع إذ كليهما يكفان النفس البشرية عن عمل السوء والوقوع فيه (٢).

وقد عصم الله الملائكة من الذنوب والمعاصي فهم لا يتصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ومنعى ذلك أن الله تعالى لم يركب فيهم الشهوة، ومن صفاتهم الطاعة التامة لخالقهم عز وجل، والتقديس المطلق له دون تعب، أو ضجر، قال تعالى: **{لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** [التحريم: ٦] وقال تعالى: **{فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ}** [فصلت: ٣٨].

(١) الجنابي، مهدي قيس. مصطلحات علم التوحيد. مرجع سابق. ص:٣٩.
(٢) قمورة، كمال. الوازع وأثره في الأحكام عند الإمام الظاهر ابن عاشور. مرجع سابق. ص:٢٣.

سمات الوازع الديني

مفهوم الوازع الديني:

إن الوازع الديني مصطلح مركب يتكون من شقين، أمَّا الشق الأوّل فهو الوازع، أما الشق الثاني فهو الديني، فمحل الوازع النفس الإنسانية، والتي لا تهتدي إلا بوجود الوازع الديني، فهي مفتقرة لمعرفة ما ينفعها، وما يضرها بدونه، ومحتاجة لمعرفة ربِّ مسؤول مستعان به.

ويتبين أن حقيقة مفهوم الوازع الديني هي حقيقة إيمانية ثابتة ومستقرة في النفس الإنسانية تراود المسلم وتدعوه إلى الاستسلام لله تعالى، والوقوف عند حدوده، والعمل بما جاء في الكتاب والسنة من الأوامر والنواهي والتوجيهات والإرشادات والفضائل الخلقية، وتدعوه إلى الامتناع والكف عما حرم الله مذكرة إياه بالزواجر والروادع التي حفل بها الكتاب والسنة، وكذلك هو الوازع عند المتدينين من غير المسلمين(١).

فالمقصود بالوازع الديني هو الدافع الداخلي للإنسان من مطلق عقيدته نحو الخير، والكف عن كل شر؛ وذلك استنباطاً من قول الحق تبارك وتعالى: **{وَأَمَّا مَنْ خاف مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}** [النازعات: ٤٠- ٤١] فعندما خاف من ربه نهى نفسه.

(١) الأزدي، عبد الله بن سيف. الوازع الديني وأثره في الحد من الجريمة. المملكة العربية السعودية: مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: ١٤٧. ١٤٣٠هـ. ص: ٢٨٠.

ويقصد بالوازع الديني اليقين التي يتمتع به الفرد إزاء الخالق سبحانه وتعالى متمثلًا في الإيمان به والركون إليه والتسليم له، والاقتناع بالجزاء في الآخرة الأمر الذي تظهر آثاره على الحياة النفسية للفرد بحسب قوة هذا الوازع سلبًا أو إيجابًا. (١)

ويتأصل الوازع الديني من خلال الاعتقاد السليم الصحيح، لأن الاعتقاد إذا صلح صلحت الأعمال التي تأتي بعده إذا حصلت لها حراسة حتى يضمن سيرها وفق مقاصد الشريعة في جلب الصلاح ودرء الفساد. (٢)

فالوازع الديني يقصد به التربية الدينية التي تسري في نفوس المؤمنين؛ فينقادوا إلى فعل الطاعات، ويجتنبوا فعل المحرمات، فهو وازع الإيمان الصحيح المتفرّع إلى الرجاء والخوف.(٣)

وقد عُرِفَ الوازع الديني بأنه: ذلك الواعظ الموجود في قلب الإنسان الذي يوصله إلى فعل الصالحات ويرشده إلى رجاء الثواب، ويبعده عن الانحراف ويبصره بعواقبه. (٤)

والمراد بالواعظ هو أمر قلبي يراقب عمل صاحبه ويحرسه، ومن شأنه أن يبعث السرور في القلب وراء كل عمل صالح، وينزل الحزن والأسى عليه وراء كل خطيئة، وهذا ما أطلق عليه القرآن الكريم النفس

(١) البرق، زهرة عثمان. قلق الموت وعلاقته بضعف الوازع الديني. مرجع سابق، ص: ٣٥٠.
(٢) الحسني، إسماعيل. نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالي للفكر الإسلامي. ط١. ص: ٣٩٦.
(٣) الدرويش، عبد الرحمان بن عباد الله. الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية. ط١. ١٤١٠هـ، ص: ٢٣٠.
(٤) موفق، نبيل. أثر الوازع الديني في رعاية وحفظ الأمن القضائي القضاء والشهادة أنموذجاً. مجلة الدراسات الفقهية والقضائية، المجلد:٣، العدد:٢. ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م. ص: ٨٠.

اللوامة، قال تعالى: **{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** [القيامة: ١ – ٢] أو ما يطلق عليه الضمير فهو الذي يدفع إلى العمل الصالح، ويرشد إليه من اجل الثواب، ويبعد النفس عن شهواتها بتذكيرها بالعواقب الوخيمة جراء هذا الانحراف.

❋ **وقيل الوازع الديني:** هو الدافع الداخلي للإنسان – من مطلق عقيدته نحو الخير، والكف عن كل شر[١]؛ وذلك استنباطاً من قول الحق تبارك وتعالى: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}** [النازعات: ٤٠ – ٤١].

وقيل: هو التربية الدينية التي تسري في نفوس المؤمنين؛ فينقادوا إلى فعل الطاعات، ويجتنبوا فعل المحرمات، فهو وازع الإيمان الصحيح المتفرّع إلى الرجاء والخوف.[٢]

وبهذا يتضح لك أيها القارئ الكريم بأن الوازع الديني له أثر ملموس في النفوس البشرية، ذلك أن مصدره الكتاب والسنة وهدي النبي وسيرة الصحابة الكرام، كما يتضح أنه مُلزم للأخلاق الكريمة، والبعد عن الرذائل.

وتعرفه الكاتبة بأنه الشعور الذي يكنه المسلم في قلبه مما يدفعه لفعل الخيرات ويزجره عن المعاصي جراء استشعاره المراقبة الله له وخشيته، في مواقف متعددة.

---

(١) عبد لله، صلاح الدين حسن. الوازع الديني منبع القيم الأخلاقية. مجلة البحوث العلمية. جامعة الملك فيصل بتشاد، العدد (٢)، ٢٠١٦م. ص: ٧٢.

(٢) الدرويش، عبد الرحمان بن عبد الله. الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة. ط١، ١٤١٠هـ. ص: ٢٣٠.

سمات الوازع الديني:

من خلال ما سبق يتضح أن الوازع الديني أمر قلبي خفي من شأنه أن يكف النفس عن المخالفات الشرعية بالقول، أو الفعل، أو القصد، كما يتضح أن الوازع الديني يتسم بالكثير من السمات ومنها ما يلي:

❖ **السمة الأولى:** أنه بمثابة الواعظ القلبي والضمير الذي يحول بين النفس والممنوع، كما أنه دافع لها نحو فعل المشروع، وقد ورد التعبير عن الضمير والإحساس في الحديث النبوي بأنه: "واعظ الله في قلب المسلم"، فعن النواس بن سمعان له عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم– قال: "ضرب الله مثلا صراطًا مستقيمًا، وعلى كنفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يدعو؛ يقول: يا أيها الناس، اسلكوا الصراط جميعًا ولا تعوجوا، وداع يدعو على الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم" (١)، وهذا الشعور في النفس الذي سماه الحديث: "واعظ الله"، ويسميه علماء الأخلاق "بالضمير" وهو المعنى الموجود في الوازع الديني الذي يحث على الخير، وينهى عن الشر.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، من حديث النواس بن سمعان، ٢٩/ ١٨٤، برقم (١٧٦٣٦).

❖ **السمة الثانية:** أمر خفي داخليًا، أي أنه هو أمر نفساني خفي، فلا يعلم ما في قلب الإنسان إلا هو والله سبحانه وتعالى، فصاحب القلب السليم يعلم أن الله مطلع عليه، فيتقيه، ويصلح ما في قلبه دائمًا، ويعلم أن عمله الظاهر مرتبط بقصده القلبي، فقال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" (١).

❖ **السمة الثالثة:** الاستمرارية، حيث يتميز بالاستمرارية والديمومة فيبقى ما بقي الإيمان في القلب، وذلك لأن الإيمان يزيد وينقص، قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}** [الفتح: ٤] وقال تعالى في صفات المؤمنين: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}** [الأنفال: ٢] ولا شك أن هذا الوازع الداخلي يزداد ويستمر في عمله مع زيادة الإيمان.

❖ **السمة الرابعة:** يكسب النفس خشية من الله، ومراقبة، وحياء، تنتج عن المعرفة بالله ومعرفة دينه، فالمؤمن الذي يعرف مقامه من ربه، ويعرف مقام ربه ويخشاه هو الذي ينهي نفسه عن الشهوات، قال تعالى: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}** [النازعات: ٤٠ – ٤١] ولذلك أمر الله تعالى نبيه وكليمه موسى –عليه السلام– أن يدعو فرعون إلى معرفة الله أولًا؛ لأنه لو عرفه لخاف منه، ولو خاف منه ما كفر، قال تعالى: **{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ١/ ٦، رقم (١).

إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات: ١٧ – ١٩].

❖ **السمة الخامسة:** يشترط الإسلام، فالوازع الديني محله قلب المسلم، ولا يكون لغير المسلم [١].

وأهم سمة للوازع الديني وتكاد تكون السمة الرئيسة أو السمة الوحيدة هي تطابق وتظافر السلوك للفرد البشري مع معتقده أو تفكيره العقلي أي الانقياد التام لجميع الأخلاقيات أو المكتسبات الباطنية لثنايا النفس لهذا الوازع، وهذه سمة أو خاصة حاضنة لكل من لديه وازع ديني بينما نلحظ وبشكل ميداني محسوس أن من ليس لديه وازع ديني (أي وازع مفتعل آخر) أن سمة التطابق غير مكتملة أو غير موجودة نسبية أو كاملة [٢].

(١) ضروي، طاهر، مغراوي، محمود. منهج القرآن في تربية الوازع الديني. مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية.المجلد :١٤، العدد: ٣. ص: ٣٥٩.

(٢) https://www.alukah.net .

الفصل الخامس

أنواع الوازع الديني الأساسية

المقدمة

قبل أن نتناول أنواع الوازع الديني لا بد وأن نعلم أن نواع الوازع بشكل عام حتى يتبين لنا الوازع الديني من غيره، وقد جعل الأصوليون الوازع باعتبار مصدره نوعين اثنين داخليا وخارجيا: فإن كان مصدره داخليا فهو على قسمين: إما جبلي يغذى مبادئه من مكارم الأخلاق، أو ديني: يستقي أصوله من تعاليم الشريعة الإسلامية.

أنواع الوازع

١. الوازع السلطاني:

ومصدره خارجي، مصطلح " السلطاني" في اللغة منشق من الفعل (سلط) والاسم سلطة بضم السين، والسلطة الحجّة والبرهان، والسلطان سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه، والسلطان الولي، وسلطان كل شيء شدّته، وحدته، وسطوته [١].

❋ **والوازع السلطاني:** هو الوازع الراجع لجماعة المسلمين، والأصل في السماح به واستخدامه النصوص الشرعية، فمعظم الخطاب القرآني في مثل هذه المحال ورد بضمائر الجمع الصالحة لاعتبار مخاطبة جماعة المسلمين، وهو ما يعد إيماء إلى إعداد الجماعة المتمثلة في ولي الأمر ومن يقوم مقامه للإشراف على تلك الحقوق وحراسة تلك الأحكام؛ لأن الحقوق معرضة للاغتصاب، والأحكام

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "سلط"، ج٧ ص٣٢٠.

معرضة للمخالفة فأسندت كثير من الأحكام إلى مباشرة من يتولى تنفيذها.

ومهمة الوازع السلطاني تنفيذ الأحكام متى ضعف الوازع الديني، فما وكله الشارع إلى دين المخاطبين يُطلب أمر تنفيذ بعضه إلى السلطان؛ حيث تسلب أمانة تنفيذ الأحكام من المؤتمنين عليها، وقد استخدمته الشريعة في مثل إقامة الحدود؛ لسد توسيع دائرة الانتقام، وفي غيره إذا قدرت وجود حالة تحول دون حصول مقصوده، فكان اللجوء إليه من لوازم الشريعة؛ لئلا تكون أحكامها في بعض الأوقات معطلة (١).

والدليل على أهمية الوازع السلطاني ما ورد في السنة النبوية، كقوله صلى الله عليه وسلم: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجو جميعًا".(٢)

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- هنا يخاطب ولي الأمر القائم على حدود الله تعالى، والسفينة هي المجتمع والذين في أعلاها هم الحكام، والذين في أسفلها هم الشعوب، فلو ترك الحاكم المجتمع دون وازع أو ضابط ستعم الفوضى، وينتشر الفساد، وسينهار المجتمع بأكمله، أما

(١) الغرياني، جمال محمد عز الدين. الوازع: أنواعه -مراتبه- مقاصده. جامعة الزيتونة: مجلة العلوم القانونية. المجلد: ٤. ٢٠١٤م. ص: ١٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ٣/ ١٣٩، رقم (٢٤٩٣)

لو وضع الحاكم الضوابط والقوانيين التي تحفظ المجتمع وعاقب المفسد سينجو المجتمع بأكمله.

وإذا اقترن الوازع الديني بوازع السلطان فإن الآثار ستكون أكثر نفعاً في كل مناحي الحياة البشرية وبخاصة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية والسياسية. وقديماً قال الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله-: (إنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) [١].

٢. **الوازع الجبلي:**

ومصطلح الوازع الجبلي استعمله كثير من العلماء باسم آخر فمنهم من سماه الوازع أو الطبيعي، ومنهم من سمّاه الوازع الفطري، أو النفسي، أو العقلي، أو الغريزي وكل الطبعي المعاني تصب في مفهوم واحد الذي هو الجبلة [٢].

❋ **الجبلية في اللغة:** مشتق من (جبل) فالجيم والباء واللام، أصل يطرد ويقاس، وهو تجمع الشيء في ارتفاع، فالجبل معروف، ومنه الجماعة العظيمة الكثيرة، ومنه الجبلة: الخليقة [٣]، وقال ابن منظور: الجبل اسم لكل وتد من الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطواد، ومنه أجبل القوم: صاروا إلى الجبل، وجبلته: تأسيس خلقته التي جبل وخلق عليها [٤].

---

(١) أخرجه ابن شبة، تاريخ المدينة، ٩٨٨/٣.
(٢) ابن حرز الله، عبد القادر، موفق، نبيل. مراتب الوازع وأثرها في تعميق فقه المواطنة. مجلة العلوم الإنسانية - جامعة محمد خيضر بسكرة. العدد: ٣٥، ٢٠١٤م. ص: ٣٤٨.
(٣) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، مادة: "جبل"، ج١ ص٥٠٢.
(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: "جبل"، ج١١ ص٩٧ – ٩٨.

وفي قول الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٣٠].

جاء في تحفة الحبيب: الوازع الطبيعي: ما يحمل الإنسان على الشيء بطبعه"(١)، وقال الشبراملسي الوازع أي الميل، وقوله الطبعي: أي المنسوب إلى الطبع بسكون الباء، وهو الجبلة التي خلق الإنسان عليها، وأما الطبيعة فهي مزاج الإنسان المركب من الأخلاط(٢).

كما أنه يستخدم ويراد به في الشرع الكافّ والمانع؛ فيدخل في ذلك العقوبات؛ كالحدود والقصاص وغير ذلك؛ ومن ذلك قول الزريراني: لا يقتل والد بولده رواية واحدة، وهذا بخلاف الولد، فإنه ليس فيه من الشفقة والحنو ما يمنعه عن قتل والده، بل قد رئي قتل الأبناء للآباء كثيراً، وقد قال الله تعالى: **{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}** [التغابن: ١٤] فأمر بالحذر منهم، ومن المحذور إقدامهم على القتل، وإذا لم يكن هناك وازع طبعي يزعه، شرع له الوازع الشرعي، وهو القصاص"(٣).

والوازع الجبلي له مكانته العالية في أمر التشريع، وذلك في الأمور التي يخشى ألا يغني فيها الوازع الديني فتصبغها الشريعة بصبغة

---

(١) البجيرمي، سليمان بن محمد بن عمر المصري الشافعي . تحفة الحبيب علي شرح الخطيب. دار الفكر. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. ٣٣٩/٥.

(٢) الأقهري، أبي الضياء نور الدين بن علي الشبراملسي. حاشية الشبراملسي مع نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ٢٣٩/٦.

(٣) الحنبلي، عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزريراني. ايضاح الدلائل في الفرق بين المسائل. تحقيق: عمر بن محمد السبيل. المملكة العربية السعودية. دار ابن الجوزي. ط١. ١٤٣١هـ. ص:٥٦٦.

الأمور الجبلية، كما في بعض أنواع المحرمات حيث تظهر فيها الحاجة إلى تعزيز الوازع الديني بالوازع الجبلي.

واستخدام الوازع الجبلي واستثماره في الأحكام يؤكد المقصد الأصلي من الشريعة، وأنها جارية في التكليف على الطريق الوسط الذي تقتضيه الفطرة على أن ما يوجد في الشريعة من تشديد فإنما هو في مقابلة من غلب عليه الانحلال(١).

وهذا لا يعني أن الشريعة تكون على هوى المكلف، وإنما المقصد الشرعي من اعتبار الوازع الجبلي هو تقوية الحكم الشرعي حتى تتيح الامتثال والتعمق فقد نص الشرع في كثير من الآيات على حصر الأمر في شيئين: الوحي، والهوى، قال الله تعالى: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى}** [النجم: ٣ – ٤]، وإذا كان الوحي حقًا يأمر الشرع باتباعه، فإن الهوى باطل، ذمه الشرع وأمر بالخروج عنه، ولا يمكن أن يقره بالسير على ما يقتضيه.

ونستخلص من ذلك أن ما يقع على الإنسان بغير إرادة هو الجِبلة التي خَلَقَ الله الإنسان عليها، وجبله على فعلها، من غير اكتساب (٢).

- **فمثلًا:** الإنسان من جبلته وتكوينه ومن فطرته التي فطره الله عليها أن يأكل إذا جاع، ويشرب إذا عطش، وينام إذا تعب، ويفرح لداعية الفرح، ويحزن لداعية الحزن، ويغضب لداعية الغضب، وكذا الحب

(١) الغرياني، جمال محمد عز الدين. الوازع: أنواعه - مراتبه – مقاصده. مرجع سابق، ص: ١٦٨.
(٢) الجرجاني، التعريفات. مرجع سابق. ص: ١٤٠.

والبغض، ونحو ذلك من دواعي الطبع البشري مما لا يدخل تحت قدرة المكلف عليه.

فالفطرة هي المصدر الذي يرجع إليه الوازع الجبلي، نجد أن الشريعة وظفت هذه المرتبة ابتداء قصد عدم الإطالة في تشريع الأحكام للمنافع التي تتطلبها الأنفس لذاتها بدافع الجبلة، كما أنها لم تطل التحذير من المفاسد التي يكون للنفوس منها زاجر عنها(١).

الفرق بين الوازع الديني والوازع الجبلي:

إنَّ الفطرة التي فطر الناس عليها والتركيبة الخلقية التي شاء الله أن يجبل الناس عليها لها من التأثير البالغ والكبير في تحديد مسار الإنسان في الحياة، والطريق الذي يسلكه والوجهة التي يختارها، وهذا ما يظهر جليًا في تصرفاته وأفعاله لو بقي محافظًا على نقاء فطرته وطهارة أصله، ولكن يد الفساد التي تلاحق هذه الفطرة لتحرفها عن مسارها وتطمس معالمها وتغير أنماط سلوكها التي جبل الإنسان عليها، هذه اليد الفاسدة الآثمة هي التي تتحمل وزر الشذوذ الأول الذي يطرأ على عقيدة الإنسان وسلوكه، الذي يطرأ على عقيدة الإنسان وسلوكه. وإنَّ الإنسان إذا خُلّي وطبعه الأصلي اختار الأحسن من العقائد والأخلاق والأفعال وسائر الأحوال (٢).

(١) ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ٣/٣٦٤.

(٢) الفيلكاوي، حليمة إبراهيم. تأثير غياب الوازع الديني بين الزوجين على السلوك العدواني لأبنائهم طلاب المرحلة الثانوية بدولة الكويت. مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، المجلد ٣٥، العدد: ٣٥، ٢٠٢٢م. ص: ٣٢٩.

❋ **فالوازع الجبلي:** هو حالة وجدانية وعقلية ذات صبغة فطرية تدفع الإنسان إلى جلب مصلحة أو درء مفسدة، وهذه الحالة الفطرية راسخة في نفس الإنسان، وهي تتجه به صوب المنافع كأكل وشرب الطيبات، وحفظ الأبناء، أو تصده عن المضار كأكل ذوات السموم والنجاسات.

بينما يرتكز ويظهر الوازع الديني كسياج عظيم، تحرس به أعمال الناس، وقد يتمكن من النفوس الفاضلة إلى أن يصير بمثابة الوازع الطبيعي، وهذا ما تسعى إليه الشريعة الإسلامية، لكن بعض النفوس يعتريها المرض والفساد، فلا تنتفع لا بوازع طبعي، ولا بوازع ديني، فكان لزامًا استدعاء وازع أعظم، وهو الحدود و العقوبات التي فرضتها الشريعة، وفوض أمرها إلى الحاكم(١).

أنواع الوازع الديني

إن الوازع الديني يتأصل من خلال الاعتقاد السليم، الذي جمع معناه الأمر بالإيمان الوارد في حديث أبي عمرة الثقفي أنه سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال –عليه الصلاة والسلام–: "قل آمنت بالله ثم استقم"(٢)، لأن الاستقامة درجة تتطلب الإيمان والعمل الصالح، وهي استقامة الأعمال والتصرفات، وإذا صلح الاعتقاد فإن الأعمال التي يأتي بها المكلف ويتوجه عليها الخطاب الشرعي تحتاج إلى تعهد

(١) قمورة، كمال. الوازع وأثره في الأحكام عند الإمام الطاهر ابن عاشور. ص: ٣٥.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام. الحديث: ٣٨,١/٤٧.

الحراسة، حتى تسير وفق مقاصد الشريعة في جلب الصلاح ودرء الفساد، وقد يتنوع الوازع الديني إلى ما يلي:

١. **الوازع الخلقي:** وهو أمران ديني وهو العدالة، وخلقي وهو المروءة، فالوازع الخلقي لا يختلف وهو ما كان منبئاً بالدلائل النفسانية. ومنه ما يختلف باختلاف العادات، ولا ينبغي الاعتناء به في علم المقاصد، كما قيل في المشي حافياً في قوم لا يفعلون ذلك، والأكل في الطريق بين قوم يستبشعون ذلك. والمجال في هذا فسيح.

٢. **الوازع الإيماني:** إن معظم الوصايا الشرعية منوط تنفيذها بالوازع الديني، وهو وازع الإيمان الصحيح المتفرع إلى الرجاء والخوف، فلذلك كان تنفيذ الأوامر والنواهي موكولا إلى دين المخاطبين بها. قال الله تعالى: **{.. وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ واليوم الآخر..}** [البقرة: ٢٢٨]، ولا توجد العقوبة المقررة في الدنيا على الكتمان المذكور في الآية وإنما أمره في الآخرة. وما يمنعهن في الدنيا من ذلك الكتمان إلا وازع الإيمان الذي يجعلهن يرجون ثواب الآخرة ورضى الله والخوف من عقوبته على عدم امتثال أوامره ونواهيه.

ومما سبق فإن الوازع الديني ينبع من ذات المكلف ويتشكل على هدي من إرادته ضميره، ولذلك تعمل الشريعة على إيقاظه وتنمية مداركه في اتجاه القيم الإنسانية والمثل العليا التي ينهض عليها الفقه الإسلامي، وأصل هذا الوازع هو الإيمان بالله تعالى الذي يثمر تنفيذ أحكام الشريعة.

الفصل السادس

مكانة الوازع في الشريعة الإسلامية وأهميته في تنظيم حياة المسلم

مكانة الوازع في الشريعة الإسلامية

إن الوازع الديني له أهمية ومكانة كبيرة في الشريعة الإسلامي فالوازع الديني ينبع من ذات الفرد، ويتشكل على وفق إرادته، وتعمل الشريعة الإسلامية على إيقاظه وتنمية مداركه، إذ إن الوازع الديني يُعد دافع وباعث لتطبيق حكم الله تعالى ابتغاء مرضاته والنفور من سخطه(١).

كما أن الشريعة الإسلامية اعتمدت على الوازع في تطبيق كثير من أحكامها وسياستها التشريعية، وقد أشارت آيات القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية إلى أهمية أثر الوازع في ضبط تصرفات الإنسان(٢).

وأهمية رعاية مقصد الوازع الديني في المجتمع لا تقل أهمية عن الماء للزرع، أو الروح للجسد فكما أن الزرع لا يعيش بدون ماء، والجسد لا يحيا بدون روح، فكذلك المجتمع المسلم لا يحيا بدون إيمان يعضده، ولا ينهض بدون عقيدة توجهه، فإذا ذهبت ريح الإيمان جاءت بالأعاجيب في الأعمال والأخلاق، ورأى الناس روائع من الشجاعة والقين والعفة والأمانة وروح التطوع والاحتساب، ورأوا آيات من العدل، والرحمة، والمحبة، والوفاء، كادوا ينسونها ويقطعون منها الرجاء(٣)، وقد نصت الشريعة الإسلامية على أهمية الوازع من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١) ماجوميدوفنا، سلغريوفا برلنت. لوازع وأثره في مقاصد الشريعة، رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م. ص: ٤٣.

(٢) الجزار، إسماعيل عبد الحميد. منهج الشريعة الإسلامية في علاج ظاهرة الفساد الإداري. مجلة البحوث القانونية والاقتصادية. العدد: ٧٥، ٢٠٢١م. ص: ١٨٢٣.

(٣) أبو الحسن، الندوي. ‘ذا هبت ريح الإيمان. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١٠. ١٩٨٥م. ص:٧.

مكانة الوازع في القرآن الكريم

➢ يقول الله تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}** [يونس: ٩]، وقوله تعالى: **{بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}** [القيامة: ١٤] وقوله تعالي: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}** [الشمس: ٧ – ١٠].

إن الحق –سبحانه وتعالى– خلق النفس البشرية وجعلها مؤهلة لفعل الخير وفعل الشر، فقد ألهمها فعل الفجور وفعل التقوى، فلم يجبرها على الطاعة المطلقة ولا على المعصية المطلقة، وهذا تصوير قرآني لبيان قابلية الإنسان للتوجيه نحو خطين متضادين: التقوى والفجور، وما يترتب عليهما من نتائج، وفي هذه الآية تصريح على قابلية الوازع الطبعي على تقبل الخير والتسامي إليه، وهو دلالة على قدرة الإنسان على توجيه طباعه توجيهاً نافعاً لنفسه وللآخرين، والمراد بالتزكية، أي: من أصلح نفسه بطاعة الله تعالى، وطهرها من الكفر، والمعاصي، والأخلاق الدنيئة، والرذائل.

❋ **والدس:** معناه الخسران وخيبة النفس، فمن دساها تعني: من دس نفسه فأهملها ووضع بخذلانه إياها من الهوى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله[1].

(١) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. ١٤٠٥هـ. ١٣٥/٣٠.

وقوله تعالي: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام: ١٢٥] جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه سئل عن هذه الآية الكريمة، فقيل: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: " نور يقذف فيه، فينشرح له، وينفسح. قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال: " الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت، قبل لقاء الموت"(١).

مكانة الوازع الديني في السنة النبوية

وقد اهتمت السنة النبوية بالحديث عن الوازع الديني، إشارة إلى إبراز مكانته وبيان أهميته، فعن وابصة بن معبد قال: أتيت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فقال: "جئت تسأل عن البر؟" قلت: نعم، فقال: "البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في نفسك، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك" (٢).

إن الوازع الديني عندما يتمكن من المؤمن، يصبح بمثابة ضابط خلقي يحاسب الإنسان نفسه، وهذا الوازع يأتي عن طريق الخشوع لله، والخوف من عذابه ومن يوم الجزاء، وقد كان الوازع الديني في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم– قويًا الأمر الذي جعل ماعز يعترف على نفسه ويقر بأنه زنى، ويريد من النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يقيم عليه الحد.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ص١٨٠.
(٢) رواه أحمد في مسنده، من حديث وابصة بن معبد، ٢٩/ ٥٣٣، برقم (١٨٠٠٦)

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه، أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال": يا رسول الله، إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني، فرده، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فقال: "أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا؟" فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه، فأخبروه: أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم، قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله، لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا، فوالله، إني لحبلى، قال: إما لا، فاذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا، يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها، فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها، فقال: "مهلًا يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له" ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (١).

فكان للوازع الديني في ذلك الزمان من الأثر ما يغني في الإعانة على إقامة الشريعة، وأن الجاني كان يأتي رسول الله –صلى الله عليه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ٣/ ١٣٢٣، رقم (١٦٩٥)

وسلم- بدافع الوازع فيقر لديه بجنايته، ويسأله إقامة شرع الله عليه ليطهره من جنايته، كما وقع لماعز والغامدية، لقد غفر الله لهما؛ لأنهما أصرّا على إقامة الحد مع توبتهما لكي تتم الطهارة، ولم يرجعا عن إقرارهما مع ان الطبع البشري يقتضي أنه لا يستمر على الإقرار بما يقتضي موته، فجاهدا نفسهما على ذلك (١).

❋ **فالوازع الديني:** ما هو إلا مراقبة ومحاسبة النفس، ومراقبة الله في العبادة، والشعور بأن الله مطلع علينا، لذا كانت عبادة المحسنين عبادة مراقبة، ففي حديث جبريل: "قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (٢)، فالله يحب أن يرى عبده في مواطن الطاعة، ولا يحب أن يراه في مواطن المعصية، والعبد الذي يحب الله تعالى هو المتواجد دائمًا في مواطن العبادة إما المسجد، أو مجلس علم، او مجلس ذكر، أو عيادة مريض، أو كفالة يتيم، أو السعي على الأرملة والمحتاجين.

وقد عرّف ابن القيم المراقبة بأنها: دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق -سبحانه وتعالى- على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين (٣).

---

(١) ماجوميدوفنا، سلغريوفا برلنت. لوازع وأثره في مقاصد الشريعة ص٣٧.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان والإسلام، ١/ ١٩، رقم (٥٠)
(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢ ص٦٥.

مكانة الوازع الديني في اجتهادات الصحابة والفقهاء

وعند متابعة السير نجد أن الرسول –صلي الله عليه وسلم– كان يسعي إلى انتشار وغرس مفهوم الوازع الديني وتبعه بعد ذلك الصحابة –رضوان الله عليهم– ويتضح هذا من مجموعة مواقف.

كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يغرس الوازع الديني في نفوس الأطفال، وينميه فعن عبد الله بْنِ عَبَّاس قَالَ كُنتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كلمات أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف"(١).

- **وقال النبي –صلي الله عليه وسلم–**: "إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا" (٢).

وفي موقف كعب بن مالك لله – في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك– مثل عظيم في تلك الحصانة الإيمانية والوطنية، حيث أرسل إليه ملك غسان يغريه بعرض من المكانة والعطاء على أن يترك رسول الله ﷺ والمدينة، مقابل التحاقه وانتمائه إلى غسان، فما كان له إلا موقف من تشبع بالمناعة الذاتية الإيمانية؛ حيث قال: "حتى إذا جاءني" أي رسول ملك غسان دفع إلي كتابًا من ملك غسان، فإذا فيه:

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، ٢٩٣/١.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية.

أما بعد؛ فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها وهذا أيضًا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها" (١).

ومواقف الصحابة كلها كانت نابع من هذا الوازع الذي تنمى على يد النبي –صلى الله عليه وسلم– فهذا أبو بكر الصديق عندما علم بارتداد الكثير من القبائل، ومنعوا الزكاة ادعاءً منهم أنها تسقط بوفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "والله لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لقاتلتهم على منعها" (٢).

وما فعله عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– من منع النساء الصلاة في المسجد لمصلحة تقتضي هذا الأمر، فقالت السيدة عائشة –رضي الله عنها–: "لو أدرك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما أحدث النساء، لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل" (٣).

وقد روي أن الإمام مالك قال بعدم جواز إجبار المالك على إمرار الماء في أرضه، مخالفًا بذلك قضاء عمر –رضي الله عنه– وذلك لمخالفة أهل زمن مالك لزمن عمر، كما في رواية أشهب، كأن يقال تحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من الفجور، وأخذ به من يوثق

---

(١) السبتي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسي بن عياض اليحصبي. إكمال المعلم بفوائد مسلم. تحقيق: يحيي إسماعيل. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ٢٧٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، ٩/ ١٥، رقم (٦٩٢٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس، ١/ ١٧٣، برقم (٨٦٩)

برأيه، خشي الإمام مالك الادعاء الباطل وأفتى بمنع إمرار الماء إلا بموافقة صاحب الأرض، وذلك لفاسد الوازع عند الناس [١].

فقد كان الصحابة والتابعون مجتهدين في الفقه والفتوى ويميزون بين الثابت والمتغير، وأنه لا بد من تغيير أحكام تبعًا لتغير الأحوال، الأزمان، وهذا إن دلّ فإنه يدل على مرونة الشريعة، ومناسبتها لكل العصور والمجتمعات.

(١) ماجوميدوفنا، سلغريوفا برلنت. لوازع وأثره في مقاصد الشريعة ص٤٢.

الفصل السابع

تحليل العوامل المؤثرة في ضعف الوازع الديني

ضعف الوازع الديني

ضعف الوازع الديني يقصد به الابتعاد عن القيام بالواجبات الدينية الموكلة للفرد المسلم والتي يجب عليه القيام بها، وتتمثل في مجمل الواجبات والتكاليف الشرعية المفروضة مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج، كما نجد أن التقصير أو التفريط أو التهاون في أدائها يجعل الفرد المسلم يدخل في دائرة المحرمات والمحظورات، وهي تعني ترك الأوامر وعدم اجتناب النواهي، أو ترك بعضها أو ترك أي جزء منها، ويترتب على ذلك الابتعاد عن منهج الإسلام(١).

فضعف الوازع الديني يهيئ النفوس للانطباع بطابع واحد فأصبحت مستعدة للتكيف بما يقبح وما يحسن – ثم غلب ما يقبح على ما يحسن فخرجت الفضيلة الإسلامية من عقل المسلم ومن نفسه وحلت محلها الرذيلة(٢).

وعندما يوصف الإنسان بأنه ضعيف الوازع الديني، فإن هذا الإنسان حتمًا تنطبق عليه مثل هذه الأوصاف وهو الالتزام بالقيام بالحقوق والواجبات المفروضة عليه في كل الجوانب المتعلقة بحقوق الله وحقوق العباد، وهو الإنسان الذي لا يتورع عن ارتكاب المعاصي والخطايا والمقصر في واجباته سواء في مجال العمل كما هو الحال في مهنة التعليم.

---

(١) هارون، محمد جبريل فضل. أسباب ضعف الوازع الديني وغياب التفاعل التربوي للمعلمين بمؤسسات التعليم قبل الجامعي بولاية الخرطوم السودان. المجلة العلمية، المجلد: ٣٤، العدد:٢. ٢٠١٨م.ص: ٦٣٧.

(٢) الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي. الآثار الإمام محمد البشير. تحقيق: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٧م. ١٣٣/١.

ويقصد بضعف الوازع الديني بين الشباب: ضعف الإيمان والعقيدة والشعور بالذنب، والتحلل الاجتماعي، والزهد في الدنيا والإيمان بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، والتشكك في قيمة الدين وفي قدرته على مواجهة ومعالجة المشكلات والاضطرابات النفسية والتصور بأن الأخلاق يمكن فصلها عن الدين، وعدم التمسك بتعاليم الدين، وعدم الالتزام بأوامره ونواهيه، وعدم التطبيق العملي لتعاليمه وشعائره، وتحلل الأخلاق وفساد السلوك إلى غير ذلك من مظاهر ضعف الوازع الديني[1].

عوامل ضعف الوازع الديني:

الانقطاع عن ممارسة الطاعة:

نجد أن ضعف الوازع الديني ينبع من الابتعاد عن القيام بالواجبات الدينية الموكلة للفرد المسلم، فبُعد الإنسان عن ربه وعدم عبادته كما ينبغي أن يكون تجعله مشتت القلب والوجدان، وقد الحق سبحانه وتعالى على هذا الأمر فقال: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}** [طه: ١٢٤].

سوء التربية:

إن التربية السيئة من العوامل الرئيسية التي تؤدي إلى ضعف الوازع الديني؛ ولذلك أمرت الشريعة بحسن التربية، وأشار القرآن الكريم إلى تربية الأبناء تربية إيمانية تقوم على غرس معالم الدين والعقيدة السليمة،

(١) البرق، زهرة عثمان. قلق الموت وعلاقته بضعف الوازع الديني. مجلة العلوم الإنسانية: ليبيا. العدد (١٥)، ٢٠١٧م. ص:٣٤١.

فذكر وصايا لقمان لابنه فقال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** [لقمان: ١٣] فأول وصية تربوية من لقمان لابنه هي أن يلتزم بعبودية الله تعالى وحده، وينهاه عن الشرك بالله في عبادته، ثم قال تعالى: **{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}** [لقمان: ١٦ – ١٩].

فمن يتأمل وصايا لقمان التربوي يجد بدأ بالأهم ثم المهم، فبدأ بتوحيد الله تعالى، ثم يربي ابنه على عظمة قدرة الله تعالى، وعلى الاهتمام بالشرائع فأمره بإقام الصلاة، وألزمه بمكارم الأخلاق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصبر على الأذى وعلى قضاء الله وقدره، ونهاه عن الكبر والخيلاء، وأمره بالاعتدال في حياته، وأن يخفض من صوته؛ لأن رفع الصوت شأن الجهال، فهذه وصايا تكتب بالذهب، ومن يطبق هذه الوصايا فتتنمي عنده الوازع الديني؛ لأنها تشمل العقائد، والشرائع، والأخلاق.

ولذلك أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بحسن تربية الأولاد لينشأوا تنشئة إيمانية سليمة، فكان من وصاياه –صلى الله عليه وسلم– لعبد الله ابن عباس وهو غلام أن قال له: "يا غلام إني أعلمك كلمات،

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (١).

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يعلم ابن عمه ويربيه على التوحيد فلا يتوكل إلا على الله، ولا يستعن إلا بالله، ولا يسأل إلا الله، ويعلمه ان كل شيء يحدث في الحياة بقدر، وأنه لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى، فمن يتربى على هذه الوصايا لا بد وأن يمتلك من الوازع الدين ما يملأ قلبه إيمانًا ورضا.

عوارض الضعف البشري:

والمراد بعوارض الضعف البشري ما يعرض للنفس البشرية فيغير من أحوالها كالحب، والبغض، والشهوة، والقرابة، والجوع، والفقر، إن الله خلق عند الإنسان دوافع فطرية تدفعه إلى العمل في هذه الحياة كالدافع إلى الجنس، والطعام والشراب، وتوفير المال، وهذه الدوافع إن لم تهذب وتوجه بالطريق الأمثل تؤدي إلى فوضى اجتماعية عارمة (٢). ومن أجل إشباع هذه الغريزة بالصورة الأمثل أرسل الله تعالى رسله –صلى الله عليه وسلم– لتعليم البشر الشرع، فتعاليم الدين ما هي إلا توجيه سليم لحفظ ضرورات الحياة التي هي في الأصل مقاصد الشرع،

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ت: أحمد محمد شاكر، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/ ٦٦٧، رقم (٢٥١٦)

(٢) ماجوميدوفنا، سلغريوفا برلنت. لوازع وأثره في مقاصد الشريعة ص٧٦.

وهي: حفظ الدين، وحفظ العِرض، وحفظ العقل، وحفظ النفس، وحفظ المال.

- **وقال علماء الأصول:** إن المقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسينياتهم، فكل حكم شرعي ما قصد به إلا واحد من هذه الثلاثة التي تتكون منها مصالح الناس، ولا يراعى تحسيني إذا كان في مراعاته إخلال بحاجي، ولا يراعى حاجي وتحسيني إذا كان في مراعاة أحدهما إخلال بضروري [١].

ولذلك أكد النبي –صلى الله عليه وسلم– على مراعاة الحلال والحرام في جلب ما يشبع هذه العوارض البشرية، فحرم الشرقة، والزنا، وشرب الخمر، والقذف، والقتل، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه" [٢].

فيبين لنا هذا الحديث الشريف أن من يتقّ الشبهات هو المؤمن القوي، وأن ذلك يقوي الوازع الديني عنده، وأن من يقع في الشبهات إنسان ضعيف الإيمان وتعمل هذه الشبهات على إضعاف الوازع الديني

(١) انظر خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة، ط٨، ص١٩٦.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ٣/ ٥٣، رقم (٢٠٥١)

لديه، ومن يشتبه عليه الأمور فعليه بسؤال أهل العلم كي يتحرى الحلال والحرام في مأكله وملبسه.

وقد شرع الله تعالى الكثير من الشرائع لتقوية هذا الجانب الذي يُعد من ضروريات الحياة لدى الإنسان وما هذه الشرائع إلا الدين، فالدين هو مجوع العقائد والعبادات والأحكام والقوانين التي شرعها الله سبحانه لتنظيم علاقة الناس بربهم، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وقد شرع الإسلام لإيجاده وإقامته وجوب الإيمان وأحكام القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام، وهي: شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وسائر العقائد، وأصول العبادات، التي قصد الشارع بتشريعها، إقامة الدين وتثبيته في القلوب باتباع الأحكام التي لا يصلح الناس إلا بها، وأوجب الدعوة إليه، وتأمين الدعوة إليه من الاعتداء [١].

فقد أوجد الله في الإنسان غريزة، وأمره أن يكون معتدلًا في شهواته فلا إفراط ولا تفريط، وجعل هذه الغرائز امتحانًا لضميره، وتوضيحًا لقوة إيمانه، وأضاف إليها عمل الشيطان وسوسته، وأنه يسري من ابن آدم مسرى الدم من العروق، فالنفس دائمًا تميل إلى السوء، قال تعالى: **{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}** [يوسف: ٥٣] [٢].

(١) خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، ص٢٠٠.
(٢) ماجوميدوفنا، سلغريوفا برلنت. لوازع وأثره في مقاصد الشريعة ص٧٨.

الفصل الثامن

تعزيز الوازع الدين في حياتنا

المقدمة

إن العوامل التي تصلح من شأن الوازع الديني كثيرة مجملها لا يخرج عن التمسك بالدين والأخلاق الكريمة ومنها ما يلي:

السلام بين الناس

إن الوازع الديني في الأصل يحث المؤمن عن الكف عن كل أعمال الشر، وليس العمل هنا مقصور على عمل الجوارح، بل يشمل عمل القلب فهو أصل له، وكذلك عمل اللسان، فالمسلم الحقيقي لا بد وأن يسلم الناس من أذاه، فعن عبد الله بن عمر، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (١).

ويشمل منع الأذى عن طريق القلب كالحقد، والكراهية، والحسد، والبغضاء، ولك أن تتخيل أيها القارئ إن الحق سبحانه وتعالى شرع الزكاة والصدقات من أجل نشر المحبة والسعادة بين بني البشر ومن أجل القضاء على الحقد والكراهية والحسد والبخل والشح والكبر، قال تعالى **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}** [التوبة: ١٠٣] فيطهر منْ ويزكي منْ؟ عن الطهارة والتزكية للجميع، فيطهر قلوب الأغنياء من البخل والكبر، ويطهر قلوب الفقراء من الحقد والحسد.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ١/ ١١، رقم (١٠)

الإيمان باليوم الآخر

إن الايمان بالله وبيوم الحساب وما فيه من جزاء، وحساب، وجنة، ونار، والصراط السوي الذي يحفز على التقوى، ويقي المسلم بإذن الله تعالى مصارع السوء فإذا ما انتفى الإيمان أو ضعف، قويت نوازع الشر فغلبت الشهوات على النفس فلا يزال الإيمان والحال هذه في ضعف.

مراقبة النفس

إن الرقابة الذاتية والشعور بالذنب وهو ما يسمى بيقظة الضمير، هو الذي يعصم بعد الله تعالى من الوقوع في الاثم ومقارفة السيئات أو التمادي فيها، فإذا ما ضعف الإيمان وكلت العزيمة وخارت تنامى في النفس التهاون بمحارم الله والعياذ بالله [1].

ولإيجاد الوازع الديني في النفس البشرية، وحفظه من الانحرافات التي تطرأ عليه انتهجت الشريعة منهجًا قويما يقوم على ثلاثة دعائم، هي:

١. ترسيخ العقيدة وتأصيلها في القلوب، قال تعالى: **{يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** [الأعراف: ٥٩]، وقال سبحانه: **{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}** [طه: ١٤].

٢. النظر الى المآل لتلقي الجزاء عن كل عمل بمثله: **{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ}** [الزلزلة: ٧ – ٨].

---

(١) آل نواب، عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين. أساليب دعوة العصاة. الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. العدد: ١٢٣. ١٤٢٤هـ. ص: ١٨٤.

٣. بث الخوف والرجاء في النفوس قال تعالى: **{نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}** [الحجر: ٤٩- ٥٠].

وهناك مجموعة من الأساليب تعمل على تقوية الوازع الديني لدى الفرد المسلم، فهذه الوسائل تقوي الإيمان وتعزز من قيمة الوازع الديني، ومنها:

١. أداء العبادات وجملة الطاعات في وقتها، فأداء العبادات يقوي الإيمان، وللطاعة أثر حميد في النفس يبعث فيها المضي في الخير والكف عن الشر. وجاء في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر "[١].

وإذا وصلت النفس إلى هذه الحالة استغنت بها عن التطاول إلى الشهوات التي توجب اقتحام الحدود، والتقاعد عن الأمور المطلوبة المرغوبة فإن فقرها إلى الشهوات هو الموجب لها التقاعد عن المرغوب المطلوب وأيضا فتقاعدها عن المطلوب بينهما موجب لفقرها إلى الشهوات فكل منهما موجب للآخر وترك الأوامر أقوى لها من افتقارها إلى الشهوات فإنه بحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة كما قال تعالى: **{إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ}** [العنكبوت: ٤٥].

٢. تربية الانسان المسلم من كافة جوانبه الجسمية، والعقلية، والنفسية، والروحية، والاجتماعية، والجمالية، على الأسس التالية:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة: الحديث رقم :٢٣٣.

٣. الإيمان بوحدانية الله تعالى، وصمديته، وربوبيته، وألوهيته، والإيمان، بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر.

٤. العلم والمعرفة بشريعة الله سبحانه ومبادئها وقيمها، وهي المثل العليا التي اختارها الله لتربية الانسان، وتزكية فطرته في الدنيا والآخرة وما يتبع ذلك من العلوم والمعارف عن الله والكون والانسان.

٥. العقل.. وتربيته ليكون عقلًا قرآنيًا قادرًا على التفكير، والاستيعاب، والتأمل، والاستدلال، والفهم، والاستنتاج، والإبداع.

٦. العمل والتطبيق لمقتضى الإيمان والعلم النافع، وما ينشأ في إطارهما من مثل عليا تتفق مع المثل الإسلامية من مبادئ، وقيم، وعادات وتقاليد تدعو إلى عمل الخير.. وتنهى عن عمل الشر[١].

ويتضح من خلال ما سبق أن تعزيز الوازع الديني يكون بالتمسك بالدين ومكارم الأخلاق؛ كي يفوز المسلم بالعادة في الدنيا والآخرة، فعن جابر بن عبد الله، ان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون" قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: "المتكبرون" [٢].

---

(١) العبد القادر، على بن عبد العزيز. دور الوازع الأخلاقي في توجيه السلوك الإنساني: استراتيجية مقترحة للتطبيق في مجال التربية والتعليم والإرشاد لمكافحة المخدرات. مرجع سابق. ص:١٠٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ٤/ ٣٧٠، رقم (٢٠١٨)

الفصل التاسع

دور التوحيد في تنمية الوازع الديني وتعزيز الإيمان

أولا: طبيعة العلاقة بين التوحيد والوازع الديني

إن معرفة الله تعالى حق المعرفة، كمعرفة ما يجب لله تعالى، وما يجوز له، وما يستحيل في حقه تعالى هي الأصل والأساس في التدين، وإحياء الوازع الديني، فالإنسان إذا عرف الآمر (وهو الله)، ثم عرف الأمر (وهو الشرع)، تفانى في طاعة الأمر، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر، تفنن في التفلت من الأمر، ويعزز الوازع الديني الخصال الحميدة المتعارف عليها عنده المسلمين، كما أنه لا يقتصر على فضائل الخصال، بل أنه يهدي إلى الإيمان بالله تعالى، والإقرار بوحدانيته.

والقرآن الكريم يربي النفس الإنسانية تربية طواعية على الفضيلة، وصدق الإيمان، وتحريك الوازع وتنميته، وإحياء الضمير، فلم يعتمد على الأساليب القسرية اعتماداً كلياً إلا في حدود يراعي فيها المصلحة العامة[1].

وقد بين الحق سبحانه وتعالى أن البر وهو أسمى خصال الخير ليس مقتصر على الصلاة وفقط، بل على أمور كثيرة منها العقائد، ثم الإنفاق في سبيل الله تعالى، ثم العبادات، والالتزام بمكارم الأخلاق، قال تعالى: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ**

(١) سعود، جبار عبد الوهاب، كاظم، طه ياسين. تنمية الوازع الذاتي. مجلة ديالي للبحوث الإنسانية. العدد:٣٥. ٢٠٠٩م.

وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

❋ **وقال العلماء:** إن هذه الآية من أمهات الأحكام؛ لأنها تحتوي على قواعد كثيرة أولها وأهمها قاعدة العقائد، وهي: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، والنشر، والحشر، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار، والملائكة، والكتب المنزلة وأنها حق من عند الله، والنبيين، ثم بعد ذلك إنفاق المال في الواجب والمندوب، وإيصال القرابة وترك قطعهم، وتفقد اليتيم وعدم إهماله، والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل، وفك الرقاب، والمحافظة على الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر في الشدائد [١].

فمكار الأخلاق والوصول إلى درجة الأبرار والصديقين تتوقف على الأصل الأول من أصول الإيمان، وهو سلامة العقيدة، ومعرفة الله تعالى حق المعرفة، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تحقيق التوحيد.

ثانيًا: دور التوحيد في تنمية الوازع الديني

إن القرآن الكريم والسنة النبوية كفيلان بترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس، والجهل بهما يؤدي إلى فساد العقيدة، فتفسد القيم الإنسانية وتنتشر محلها الأخلاق الفاسدة، ويُستبدل بالأمن الفوضى وبالعدل

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص٢٤١.

الظلم، وليس ثمة معايير تنظم حياة الناس، فيسود نظام حق القوة مكان قوة الحق[١].

فلم يكن عبثًا أن يستمر القرآن الكريم، يتنزل على الرسول ﷺ، ثلاث عشرة سنة بمكة، مؤسسًا عقيدة التوحيد، ومديرًا حركة الدعوة كلها في هذه المرحلة، على محورها، وموجهًا تربية الصحابة الكرام على أساسها، فقد كان الرسول، يعمل على تأسيس الجماعة الإسلامية الأولى، استيعابًا، وتربية على عقيدة (لا إله إلا الله)، بكل دلالاتها التصورية والسلوكية، ومن هنا كان سعيه عليه الصلاة والسلام إلى ربط المؤمنين بالله، من خلال القرآن الكريم، منهجًا تربويًا، لزمه حتى آخر حياته.

فالعهد المدني في الحقيقة، ليس إلا استمرارًا للمنهج التوحيدي العقدي، رغم الطابع التشريعي للسور المدنية، فرغم استجابة القرآن الحاجيات المجتمع الجديد التشريعية، فإن العمق التربوي للخطاب القرآني، لم يتغير من حيث المقاصد، رغم تغير الوسائل، كما سنبين بحول الله[٢].

يعد الوازع الديني ذا أهمية بالغة، إذ هو الدعامة الأولى في حفظ المجتمع ومصالحه، حيث إن صلاحه أو فساده مرتبط بصلاح الوازع الديني للفرد أو فساده، فهو إن هيمن على القلوب فإنه كاف –فضلًا عن الوسائل الأخرى– لتعزيز مفهوم التوحيد.

---

(١) البوعلاوي، عبد الله. التوحيد: القيمة الحقيقية للوجود الإنساني. مجلة البيان، المنتدى الإسلامي. العدد: ٣٩٣. ٢٠٢٠م. ص:٧٣.

(٢) الأنصاري، فريد. التوحيد والوساطة في التربية الدعوية. قطر: كتاب الأمة، العدد: ٤٧، ص: ٦٩.

قرر الإمام الطاهر ابن عاشور أنَّ الوازع يتأصل من خلال الاعتقاد الصحيح، فالعقيدة هي الحصن المنيع التي تتساقط تحت أسوارها كل الخرافات والأباطيل حيث قال: وقد قررت فيما مضى من بيان إصلاح الاعتقاد ما في هذا الإصلاح من إقامة أساس الوازع النفساني، فالاعتقاد إذن أصل هذا الوازع وجذر له وأساس لبنائه[١].

ولا شك أن أصل التدين وإحياء الوازع والضمير قائم على معرفة الله عز وجل، والإنسان إذا عرف الآمر (وهو الله)، ثم عرف الأمر (وهو الشرع)، تفانى في طاعة الأمر، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر، تفنّن في التفلت من الأمر[٢].

فوظيفة الوازع الديني تكمن في حراسة ومراقبة تنفيذ واحترام الأحكام الشرعية، والوازع الديني أساسه الاعتقاد السليم الذي يورث الخشية والخوف من الله، كما أن الوازع الديني يستند أيضًا إلى أصول خلقية وسلوكية موافقة لقصد الشارع، وتأثر في النفس البشرية أكثر من تأثير القوة والسلطان، وتحث على الخوف والرجاء، ويتبين أن معظم الوصايا الشرعية منوط تنفيذها بالوازع الديني، إذ لم ترتب عقوبات حال تفويتها من قبل المكلف في الدنيا، وإنما أمره في الآخرة[٣].

والوازع الدين يصدر عن حكم الله، وفي رحابه يقدم الإنسان على العمل إرضاء لله وابتغاء مرضاته وطاعة له.. ووازع الدين تربيه العقيدة وتثمره، وتؤصله الشريعة وتنميه وفي ظله يتم صلاح القلب الذي يترتب

(١) قمورة، كمال. الوازع وأثره في الأحكام عند الإمام الطاهر ابن عاشور. مرجع سابق، ص: ٣٤.
(٢) ضروي، طاهر، مغراوي، محمود. منهج القرآن في تربية الوازع الديني. مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد ١٤ (٣)، ٢٠٢٢م. ص: ٣٦٤.
(٣) موفق، نبيل. رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي. مرجع سابق، ص: ٣٢.

عليه صلاح كل عمل يقوم به الإنسان[١]. والوازع الديني له روافد تغذيه، وقد غرسه الله ونماه في نفس المؤمن في كل حد من الحدود التي مضت معنا، بل في كل حرمة من حرمات الله عز وجل، لن تقرأ آية في كتاب الله، ولن تسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إلا وجدت إشارة تحكي ذلك المعنى الخفي العظيم[٢].

نعم إن الحق سبحانه وتعالى يضع بذرة الوازع في القلوب وينميها النبي –صلى الله عليه وسلم– بتوضيح التشريع؛ لذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم– للرجل الذي قسى قلبه على أبناءه ولم يقبل أحدًا منهم، كيف أنمي الرحمة في قلبك وقد نزعها الله منك، فعن عائشة قالت: "جاء أعرابي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: تقبلون الصبيان، فما نقبلهم، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة" [٣].

فقال ابن حجر في معنى "أو أملك": نوع الاستفهام إنكاري ومعناه النفي، أي لا أملك، أي لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه، أي: إن نزع الله الرحمة من قلبك لا أملك لك ردها [٤].

والوازع الديني في نظر الشريعة الإسلامية يستند إلى أصول ربانية متمثلة في العقيدة الصحيحة، غير أن هذا الوازع مهدد في بعض الأحيان بالضعف، أو سوء الاستعمال، فإنه يقوم مقامه الوازع السلطاني

---

(١) هاشم، أحمد عمر. الشريعة والمجتمع بين وازع الدين ووازع الضمير. مجلة جامعة الأزهر. ١٤٤٣هـ، ٢٠٢٢م. ص:١١٠٠.

(٢) الشنقيطي، محمد بن محمد المختار. شرح زاد المستقنع. موقع الشبكة الإسلامية. ص: ٣٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ٨/ ٧، رقم (٥٩٩٨)

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح البخاري، ج١٠ ص٤٣٠.

الذي يقوم بحراسته، وحمايته، وذلك رعاية للصالح العام، لأن من مقررات الشرع أن تصرف الإمام منوط بالمصلحة[١].

الوازع الديني وتطبيق الشريعة

الوازع هو الطريقة المثلى لتحقيق المصالح وتطبيق الشريعة لأنه قائم على الإيمان المطلق بمراقبة الله المطلع على كل ذلك، والخوف، والرجاء، والتقوى، وغيرها مما يؤدي إلى تحسين الأداء[٢]. العلاقة بين الوازع والمقاصد علاقة تكاملية؛ ومن ثم فمعرفة المكلف بمقاصد التشريعات يقوي من الوازع الإيماني لديه ويزيد من إقباله على العبادات، إن للوازع الديني أهمية بالغة فهو الدعامة الأولى في حفظ المجتمع ومصالحه حيث صلاح المجتمع أو فساده مرتبط بصلاح الوازع أو فساده.

الوازع الديني إذن حصانة شرعية للنفس تمتنع بها عن الإقدام على الفواحش والمنكرات، وتتهيأ بها لنهج طريق الطاعات وسائر الخيرات، والأولى هي المعبر عنها بالمفاسد، والثانية هي المعبر عنها بالمصالح؛ ولأجل ذلك من الله تعالى على الإنسان فأمده بالشرائع ليتم له ذلك على أحسن حال، وليخرجه من حيرة التفكير وضلالة المسير، إلى مواطن الهدى وسواء السبيل[٣].

---

(١) الماوردي، أبو الحسن على البصري، الأحكام السلطانية. بيروت: دار الكتب العلمية. ص: ٢٩٣.
(٢) القرضاوي، يوسف. الإيمان والحياة. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١٢. ص: ١٦٨.
(٣) سعادة، حسين ماني. الوازع الديني وعلاقته بمقاصد الشريعة الإسلامية. مرجع سابق. ص: ٣٥٢.

يعزز الوازع الديني التوجيه الخلقي

يقول الله تعالى {مثل الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِنْةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١] وتلمح بالنظر في عبارات الفقهاء كيف فهموا حرص الإسلام على تحقيق الكفاية للفئات المعوزة، سواء أكان تحقيق هذه الكفاية عن طريق الإنفاق الإلزامي، أم بالتعاضد مع الإنفاق الاختياري الذي قد يرقى إلى مرتبة الإنفاق الإلزامي(١).

عن أبي هريرة قال سمعت رَسُولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "لأَنْ يَغْدُو أحدكم فَيَحْطِبَ على ظهرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِي بِهِ من الناس خَيْرٌ له من أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ أو منعه ذلك فإن الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ من الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"(٢).

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يحث الناس ويشجعهم على العمل، وأن العمل مهما كان شاقًا ومؤلما فهو من البطالة ومن مد الأيدي، وأن يريق ماء وجهه وحيائه ويسأل الناس فإما يعطوه وإما يمنعوا عنه، وفي الحالتين فقد عرض نفسه للذل والمهانة، إن الإسلام يربي على عزة النفس، ويضرب النبي –صلى الله عليه وسلم– المثل بالأنبياء أنهم كانوا أصحاب أعمال ومهن يتقوتون منها، ولم يكونوا عالة على غيرهم

---

(١) العساف، تمام عودة. الوازع الديني وأثره في درء العنف المجتمعي. دراسات علوم الشريعة والقانون. المجلد:٣٩، العدد: ٢٠١٢م. ص: ٥٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الزكاة: باب كراهة المسألة للناس. الحديث رقم: ١٠٤٢. ٢/٧٢١.

أبدًا فقال: "ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده" (١).

يعزز الوازع الديني الإيمان في نفوس المؤمنين

الوازع الديني نور من الإيمان يقذفه الله في قلب العبد، فينشرح له صدره، ويعمل بمقتضاه، وتلك هي الهداية والاستقامة على الطريق المستقيم، فالإيمان يتعلق ببناء الجانب العقدي والفكري وتنميته، ويتمّ بموجبه تكوين المفاهيم عن الوجود (الكون، والحياة، والإنسان) والموجِد، وعلاقة الوجود بالموجِد، وبهذا الجانب يتم بناء العقليّة في الشخصيّة الإسلامية وتنميتها وضبطها.

الإيمان بالله هو أصل من الأصول، وهو ركن من أركان الإيمان الستة والتي جاءت في قوله تعالى: **{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}** [البقرة: ١٧٧] وكما جاء في حديث جبريل عليه السلام عن الإيمان: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٢).

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانًا، فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن، وأصل آمن بهمزتين لينت الثانية، وهو من الأمن ضد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٣/ ٥٧، (٢٠٧٢)
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان الحديث رقم (٥٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم ٨.

الخوف[1]، الإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعني التصديق ضده التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم[2].

والإيمان في اللغة يتضمَّن معنًى زائدًا على مجرَّد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف بالشيءِ، المستلزِم لقبول الخبر والإذعان لحكمه، فهو يتضمَّن التصديق والاستعداد للانقِياد قولًا وعملًا وحالًا، والانقياد الاختياري لأدائه، فهو أمرٌ عِلمي اعتقادي يترتَّب عليه عملُ القلب وقولُ اللسان وعملُ الجوارح، فإنَّ مَن كذَّب الخبرَ أنكره قلبًا، وردَّه قولاً، وترك العملَ بمُقتضاه فعلًا، ومَن صدَّق الخبرَ اطمأنَّ إليه قلبًا، وشهد به قولًا، وحقَّق العمل بمُقتضاه فعلًا أو تركًا.

والإيمان بالله عز وجل رأس كل فلاح، وأسُ كل نجاح، فما أنزلت الكتب، ولا أرسلت الرسل إلا لأجل تقريره وتثبيته في النفوس، ولقد ربط القرآن الكريم الإيمان بالأعمال الصالحة النافعة في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، فالإيمان مرتبط بالعمل الصالح ومقرونًا به، فتفعيل الإيمان أو تشغيله، هو الطريق إلى العمل الصالح، لتحقيق الحياة الطيبة السعيدة إذا في هذه الحياة الدنيا، والفوز بالنجاة والخلود في الحياة الآخرة.

والإيمان في الشرع عبارة عن تصديق خاص، وهو التصديق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، فأركان الإيمان ستة، ورد ذكرها في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عمر

---

(١) الأزهري، محمد بن أحمد الهروي أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي. ط١٥، ٢٠٠١م، بيروت، ص ٥١٣.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير، دار المعارف، ط١٣، (د.ت)، القاهرة، ص ٢١.

ابن الخطاب رضي الله عنه، وفيه سؤال جبريل عليه السلام للنبي – صلى الله عليه وسلم– أن يخبره عن الإيمان، فقال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

ويتضح الأثر الطيب للوازع الديني، من خلال توطيد العقيدة الايمانية الراسخة في نفوس الصالحين الطائعين القانتين، فلقد رفرف الأمن والسلام على آفاق المجتمع الاسلامي، فعاش الناس آمنين مطمئنين، واستغنت الدولة عن الكثير ممن يعملون في الجهات الأمنية للضبط الاجتماعي، وبلغ من استقرار الأمن في دولة الاسلام الأولى أيام الخلفاء الراشدين، أن الفاروق عمر عهد إليه الصديق أبوبكر – رضى الله عنهما– بتولي القضاء: فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان متخاصمان.

كما اعتنى القرآن الكريم بتعيين وضبط مقومات الشخصيّة الإسلامية فكريًّا وسلوكيّا، ونظرًا لأهمية بناء شخصية المسلم وتوازنها وتحديد ميزاتها وضحها القرآن توضيحً تام وكامل؛ لأنّها بمثابة الأسس والضوابط التي ينطلق منها المسلم في تعامله مع الواقع المعاش، وتنظيم علاقاته مع خالقه ونفسه وغيره، واعتني القرآن الكريم بالإيمان (الجانب الفكري والعقدي). والعمل (الجانب السلوكي).

---

[1] مجموعة من المؤلفين. التعريف بالإسلام. قطر: مركز قطر للتعريف بالإسلام. ص ١٠٩.

وهكذا يسمو الاسلام للمسلمين المثل الأعلى في الاتحاد والتضامن والمحبة والاخاء والتعاون: حتى يطمئن جميع الناس على مقدساتهم وحقوقهم، لا بتأثير القانون أو قوة الحكم والسلطان، وإنما بتأثير الإيمان وهيمنة الضمير والوجدان، وطوعًا للوازع الديني، الذي حول عقيدة المؤمنين إلى سلوك طبيعي، يصدرون عنه في كل أحوالهم وتصرفاتهم: فلم يعد ثمة إنسان يفكر في ظلم إنسان، أو الاعتداء عليه، أو الطمع في ماله، حتى استغنت هذه الدولة المؤمنة بالله المتمسكة بطاعته وحدوده عن المحاكم والقضاة؛ لأن كل فرد فيها كان يحكم نفسه بحكم الله، وكان يقضى على نفسه، كما يقضى به الله، وكان يجعل الله رقيبًا عليه ومهيمنًا على مشاعره(١).

تتجلى أهمية الإيمان في بناء الفرد بناءً سويًا في أن الله -عز وجل- أرسل رسله لإصلاح العقيدة، يقول الله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء: ٢٥]، فالإيمان هو القضية الأولى التي يتصدى لها الأنبياء منذ اليوم الأول في الدعوة.

فقد بدأ الرسول -صلى الله عليه وسلم- أولى خطواته في دعوة الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذه هي أساس دعوته -صلى الله عليه وسلم-وظل يركز عليها طوال ثلاث عشرة سنة، يركز جُلَّ جهده في تربية النفوس لتحمل أكبر طاقة إيمانية

(١) الهنداوي، محمد عبده. الوازع الديني وأثره في إصلاح المجتمع الإسلامي. التضامن الإسلامي. ١٩٨٠م. ص: ٦٨.

يتسع لها القلب البشري، وهي القضية الكبرى والأساسية في هذا الدين الذي سيقوم عليه ذلك البناء الضخم، لأن الأمور الأخرى هي نتيجة منطقية، أو ثمرة من ثمار هذا الإيمان السليم، لأنّه متى استقر الإيمان في النفس استقر معه في الوقت ذاته النظام الذي تمثل فيه هذا الإيمان".[١]

الوازع الديني والتوحيد يعززان مفهوم الأخلاق في المجتمع

تظهر حاجة الأمة إلى ترسيخ الوازع الديني الذي ينمي الضمير النابع من المنظومة الدينية، ومن القواعد الأخلاقية والسلوكية التي تعتبر بمثابة الحصن الحصين ضد الغزو العلماني والتوجه اللاديني، الذي بات يشكل خطرًا حاذقا على هوية المسلمين، وينخر كيان الأمة الإسلامية من داخلها. [٢]

والوازع الإيماني أو الديني هو أساس مكارم الأخلاق، والسبب في ذلك هو أن انقياد الإنسان لمكارم الأخلاق إنما يكون بالقانون أو السلطان أو برادع من المجتمع؛ لأن هذه المكارم تمثل التوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع الإنساني السوي، فإذا كان الإنسان بعيدًا عن سلطان القانون والمجتمع، فإنه لم يبق إلا وازع الله تعالى والدار الآخرة، وهو الوازع الديني، الذي يعبر عنه في القرآن الكريم بمصطلح التقوى،

---

(١) قطب، محمد: رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، دار الوطن للنشر، ط١، الرياض، (١٤١١هـ / ١٩٩١م)، ص١٣١-١٣٥.

(٢) طاهر، ضروري، محمود، مغراوي. منهج القرآن في تربية الوازع الديني. مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية. المجلد: ١٤، العدد:٣. ص: ٣٥٣.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩].

الأخلاق في الإسلام عقيدة إلهية نابعة من الإيمان بالله وطاعته في أوامره ونواهيه، وابتغاء رضوانه في جميع مجالات الحياة ونواحيها، كما تتميز الأخلاق في الإسلام بأنها إيجابية وإلزامية، لما وراءها من قوة وازعة لا يملكها أي نظام خلقي آخر في الوجود، والقوة الوازعة في الأخلاق الإسلامية نفسية تمثلها خشية الله وطلب رضاه في الدنيا، والطمع في جنته ونعيمه، والخوف من معصيته وعقابه في الدنيا والآخرة.

الأخلاق سلوك مرتبط بالفكر ومتوافق مع معتقدات الأشخاص، ويمارس الأشخاص الحكم الأخلاقي على الأشياء، فهذا خير وذاك شر، ويطلق لفظ الخلق، ويراد به القوة الغريزية التي تبعث على السلوك الظاهر[١].

الخلق في اللغة يقصد بها السجيَّة، يقال: خالص المؤمن وخالق الفاجر، وفي الحديث: ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق، والخُلق، وبضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية [٢].

فالخلق حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية، وجمعه: أخلاق، ويكون طبيعيًا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب،

---

(١) مرشان، سالم محمد. فلسفة الأخلاق في الإسلام. ليبيا. مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية. العدد:٧، ٢٠٠٧م. ص: ٧٠٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. بيروت: دار صادر. ط٣. ١٤١٤هـ. مادة خلق، ص ١٩٤.

ويهيج لأدنى سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، كمن يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر، ثم يستمر عليه حتى يكون ملكّة وخلقًا[١].

وعرف ابن مسكويه الأخلاق بأنها: حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رَوِيَّة. [٢]

❋ **والأخلاق في الإسلام:** مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك التي حددها الوحي على نحو يحقق الغاية من نزوله[٣].

تنبعث الأخلاق من العقيدة الإسلامية فهي ترتبط بالعقيدة ارتباطًا قويًا وعميقًا، ولا يمكن الفصل بينهما، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه، وهي بجملتها تظهر ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق.

وتمثل الأخلاق مصدر الإلزام في الأخلاق الإسلامية وهو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالي، فقد سئل الرسول -صلي الله عليه وسلم- عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: (تقوى الله وحسن الخلق)[٤].

فالأخلاق الإسلامية تشمل جميع مجالات الحياة ويتصدرها التخلق مع الله -عزو جل-والتخلق مع الآخرين، يقول الرسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "المسلم أخو المسلم؛ لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل

---

(١) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. الأخلاق في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر. ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ص٥.

(٢) ابن مسكوية، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. تحقيق: ابن الخطيب. مكتبة الثقافة الدينية. ط١. ص٢٥.

(٣) المهاجي. معاني الجوانب الأخلاقية في الإسلام. ص٥٥.

(٤) رواه الترمذي في سننه، الفضائل والآداب. فقه الأخلاق. الأخلاق الحميدة. الحديث رقم ٦٢٨.

المسلم على المسلم حرام؛ عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم"[١].

وضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان؛ لأن الإيمان والأخلاق عنصران متلازمان، فلا قيمة لدين بلا أخلاق، وتقريرًا لهذا المبدأ يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– : "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[٢].

ويعمل الوازع الديني علي تعزيز وظائف الوازع الأخلاقي في الحياة العامة، فالوازع الأخلاقي باعتباره قوة نفسية قادرة على توجيه السلوك الإنساني المبنية على مبادئ التوحيد، والمثل العليا ايمانًا وعلمًا وعملاً، وتتمثل هذه الوظائف في:

١. محاسبة النفس الأمارة لضبط جموحها والحد من طغيان الهوى والشهوات وتجاوزها حدود المباح.
٢. توجيه سلوك الإنسان قولًا وفعلًا بدءًا بإصلاح النية والقرار ثم العمل.
٣. الرقابة الدائمة لسلوك الإنسان وتحكيم المثل العليا في تصرفاته لردعه عن عمل الشر.

(١) رواه الترمذي في سننه، الحديث رقم: ١٩٢٧.
(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ١١١/١؛ النووي، صحيح مسلم بشرح النووي: ٤٦/٢.

٤. تحقيق السمو بتصرفات الإنسان وسلوكه ومن ثم الوصول إلى النفس المطمئنة الراضية المرضية إذا انصاع الانسان للوازع الأخلاقي التقي في ذاته[١].

يعزز التوحيد تنمية مفهوم الإحسان

تعزيز مفهوم الإحسان في العبادة، يقصد بالإحسان[٢] مراقبة الله تعالى في العبادة لقوله تعالى: {**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**} [الشعراء: ٢١٨ – ٢١٩] وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم أجاب جبريل –عليه السلام– حينما أتاه وسأله عن الإحسان: "الإحسانُ أنْ تعبُدَ الله كأنك تَراهُ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٣]، وقيل الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه في إتمام الخشوع والخضوع فيها[٤].

الوازع الديني والدعوة إلي الله

مقام الدعوة إلى الإسلام عظيم، بل هي أساس من أسس انتشاره، وركن من أركان قيامه، فيقول الله تعالى عز وجل في كتابه العزيز: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨].

---

(١) العبد القادر، على بن عبد العزيز. دور الوازع الأخلاقي في توجيه السلوك الإنساني: استراتيجية مقترحة للتطبيق في مجال التربية والتعليم والإرشاد لمكافحة المخدرات. مرجع سابق. ص: ١٠٩.

(٢) زينو، محمد بن جميل. مختصر العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة. ص:٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، الحديث رقم: (٥٠)، ص: ٤٧٧٧.

(٤) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق. ص: ٢٢.

بما أن دعوة الأنبياء كانت إلى عقيدة التوحيد وهو الأمر الأساسي التي تقوم عليه دعوتهم، فالدعوة إلى الله عز وجل هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا عنه، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه".

❋ **وقيل:** إنه العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعدد الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة، وشريعة، وأخلاق[1].

وقال ابن كثير –رحمه الله– في قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣]، أي دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك[2].

تتميز خصائص الدعوة إلى الله تعالى بالربانية ومن تجلياتها في كتاب الله أن تكون دعوة الداعي متميزة بالانتساب إلى الله تعالى عن طريق العلم به، {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

---

(١) خليل، عبد الحميد محمد عبد الحميد. الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. مجلة كلية الآداب. ٢٠١٨م. ص: ١٤٨.

(٢) ابن كثير، أبي الفداء عماد الدين اسماعيل الشافعي الدمشقي. تفسير ابن كثير.. تحقيق: حسين إبراهيم زهران. القاهرة: دار زهران. ٢٠١١م. ١٠١/٤.

اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨]، وتهدف إلى صناعة الإنسان الرباني الذي أحيا الله قلبه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الانفال: ٢٤].

وترتبط الدعوة ارتباط وثيق بدعوات الأنبياء السابقين، ووحدة العقيدة المدعو إليها، فدعوة الإسلام متفقة مع الدعوات السابقة في أصولها، ورسل الله جميعا دعوا إلى التوحيد المطلق لله تعالى، وكان ذلك هو الهدف الرئيسي من كل رسالة، ومنها قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، كما بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (الأنبياء إخوة لعَلاَّتٍ أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[1].

وكذلك تقرير وحدة العقيدة، وهي عقيدة توحيد الله بالعبادة وإخلاصها له، وترك الأرباب والأنداد الزائفة التي أشركت به تعالى، وهذا هو لب دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى قومه بمكة، وبسبب هذه الدعوة عُودي وأُوذي وأخرج من مكة، حتى مكَّن الله له بعد حين فتحها، فكان إيذانًا بزوال معالم الوثنية.

ومن سار من الدعاة على نهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعوته، ودعا إلى تصحيح العقيدة وتطهيرها من الشوائب، ووحد مصيره مع مصير دعوة الحق، فإنه يشرف بالالتحاق بركب الأنبياء، ومن يزغ

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب: قول الله تعالى: ٤/ ١٤٢.

عنها فقد خرج عن الطريق القويم، وبسبب هذا الانحراف عن طريق دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقع الخلل في صفوف الدعاة اليوم.

فلولا الدعوة إلى الله لما قام دين، ولا انتشر إسلام، ولولاها لما اهتدي عبد، ولما عبد الله عابد.... ولما دعا الله داع، {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٧].

فبالدعوة إلى الله تعالى: يعبد الله وحده، ويهتدي الناس، فيتعلمون أمور دينهم، من توحيد ربهم وعبادته، وأحكامه من حلال وحرام، ويتعلمون حدود ما أنزل الله، وبالدعوة إلى الله تستقيم معاملات الناس، من بيع وشراء، وعقود ونكاح، وتصلح أحوالهم الاجتماعية والأسرية[١].

أثر التوحيد والوازع الديني في تنمية الفرد المسلم

تتجلى أهمية الوازع الديني في بناء الفرد المسلم بناءً سويًا فأرسل رسله لإصلاح العقيدة، والعمل على زيادة صلاح الأفراد، فقد بدأ الرسول –صلى الله عليه وسلم– أولى خطواته في دعوة الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذه هي أساس دعوته صلى الله عليه وسلم، وظل يركز عليها طوال ثلاث عشرة سنة، وللوازع الديني والتوحيد آثار في تنمية الفرد المسلم منها ما يلي:

---

(١) مطارید، رمضان محمد، بسیوني، محروس محمد، درویش، نبیل محمد. أصول الدعوة ومناهجها " دراسة تأصيلية تحليلية". ٢٠١٩م، ص: ١٤.

- **أولًا: زيادة الوعي بالنفس:** حيث أن النفس البشرية بمكوناتها – ومنه الجانب الوجداني– مخلوقة لله تعالى: قال تعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}** [الشمس: ٧]، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– كثيرًا ما يقسم بقوله: "والذي نفس محمد بيده"، ومن هنا فعلى الإنسان توجيه عاطفته وضبط انفعالاته نحو خالق هذه النفس، وأن يجعل دافعيته في تحريك سلوكه لتحقيق مرضاته، وأن يطوع هذه النفس وفق منهج الله تعالى، وأن يعالجها باللجوء إلى بارئها.
- والإنسان في التصور الإسلامي، كائن مختلف فهو مخلوق مكرم، خلق إنسانًا من أول لحظة، أكرمه الله بأن نفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [ص: ٧٢– ٧٣]، وأكرمه بأن جعله خليفة في الأرض، وأعطاه الأمانة التي عجزت عن حملها الجبال والأرض والسماوات، وخلقه في أحسن تقويم، وأكرمه بمعرفة الخير والشر وأكرمه بأن أعطاه كامل الحرية، ومنها قول الله تعالى: **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُورا}** [الإنسان: ٣].
- **ثانيًا الصبر على الابتلاءات والتأخيرات:** الصبر رغبةً في الأجر والثواب من عند الله، وهذه الخيرية جاءت مفصلة في عدة أحاديث بذكر جزاء الصابرين على مصائبهم من فقدان عزيز أو ابتلاء جسدي ونحوه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله –صلى

الله عليه وسلم- قال: "يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة"[١].

والصبر عن محارم الله بكف النفس عما حرمه الله، وبحبسها عن هواها، وهذا يحتاج إلى معاناة، فيصبّر المؤمن نفسه رجاء ما عند الله من المكافأة والأجر، وأما الصبر على أقدار الله المؤلمة، فأقدار الله على الإنسان ملائمة ومؤلمة، والملائمة: تحتاج إلى الشكر، والشكر من الطاعات، فالصبر عليه من طاعة الله فهو من النوع الأول، والأقدار المؤلمة: لا تلاءم الإنسان، فيبتلى الإنسان في بدنه، وماله، وأهله من أنواع البلايا التي تحتاج إلى الصبر ومعاناة، فيصبّر الإنسان نفسه عما يحرم عليه من إظهار الجزع والسخط وعدم الرضى، وكل ذلك احتسابًا عند الله تعالى[٢].

التوحيد والوازع الديني في تنمية أسباب النجاح والفلاح وانشراح الصدر وزوال الهم:

❋ **فأعظم أسباب شرح الصدر**: التوحيد، وعلى حسب كماله، وقوته، وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه. قال الله تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}[٣]

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، رقم (٦٤٢٤)

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار العقيدة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٨٠.

(٣) لأنعام: ١٢٥.

[الأنعام: ١٢٥]، فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضّلال من أعظم أسباب ضيق الصّدر، وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله -تعالى-، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وهي ملة إبراهيم- الخليل -عليه الصلاة والسلام[١].

علق النبي -صلى الله عليه وسلم- الفلاح على قول لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ولا يتحقق ذلك بمجرد النطق بها باللسان، إذ لابد من العمل بلوازمها وما دلت عليه من نفي العبادة عن كل معبود سوى الله تعالى وإثباتها وصرفها لله سبحانه وحده لا شريك له.

وعن عائشة -رضي الله عنها- رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: "يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا"[٢].

تنمية شعور الرقابة

الرقابة الذاتية هي الضمان الحقيقي لتنفيذ القانون والالتزام بأحكام التشريع وقواعد الأخلاق، وتبقى هذه الرقابة قائمة لا تزيدها الأيام إلا رسوخًا مع زيادة رصيد الإيمان وارتقاء الإنسان في درجات الكمال الإنساني، فطلب مرضاة الله تعالى هو الباعث الحقيقي وراء التزام الإنسان بقواعد الأخلاق وأحكام التشريع في الحياة الدنيا[٣].

---

(١) بن طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة. معالم التوحيد في فاتحة الكتاب. دار المأثور. رسالة دكتوره في التفسير وعلوم القرآن. ط٢. ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م. ص: ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، الحديث رقم: ١٣٩٠، ومسلم، الحديث رقم: ٥٢٩.

(٣) عبدالله، صلاح الدين حسن. الوازع الديني منبع القيم الأخلاقية. مجلة البحوث العلمية. العدد:٢، ٢٠١٦م. ص: ٨٢.

فالإسلام يسعى إلى تنمية الرقابة الذاتية للفرد المسلم، ما يبعده عن الانحراف ويجعله ملتزماً أحكامَ الشرع الحنيف، ومع ذلك فإن النفس البشرية تبقى أمارة بالسوء ولا يخلو مجتمع ولا أمّة من الانحراف وتجاوز الحق، ما يستوجب دومًا وضع القواعد الرقابية والمحاسبية حماية للمجتمع من أن يستشري فيه الانحراف والفساد.

التوحيد والوازع الديني في التربية

يعتبر الوازع الديني أساسًا في تربية الشخصية المسلمة تربية قوية تتجلى فيها روح العبودية لله في كل نواحي الحياة، والشريعة الإسلامية ترتكز أساسا على الوازع الديني الذي يحمل على طاعتها والالتزام بها حيثما كان الإنسان، كما يشكل ضعف الوازع الديني خطرا ومنطلقا لتفشي الفساد والتأثر بأخلاق الكافرين.

وتتجلي أهمية التربية الدينية وتقوية الوازع الديني لدى الناس، ذلك لأن الوازع الديني يفعل في النفوس ما لا يفعله وازع القوة والسلطان، فإذا ألف المرء أن يستمع إلى صوت ضميره، وأن يراقب ربه ويخشى عقابه، فقد أمن المجتمع بوائقه واستراح من كثير من شروره.[1]

ويتجلى سلطان الوازع الديني في أنه يربى في الانسان ملكة الحياء من الله فيستحى أن يجحد نعمه، ويخجل من أن ينتهك حرماته، فلا يكون كاذبا في قول أو غاشا في معاملة أو خائنا فيما اؤتمن عليه فيحفظ حق ربه وحقوق الناس، ولقد كانت وثبة الاسلام الكبرى في عصره الأول معزوة الى الوازع الديني المغروس في صدور المسلمين،

(١) شلتوت، محمود. من توجيهات الإسلام. بيروت: دار الشروق. ط١. ١٩٨٣م. ص: ٣٥٤.

ولولا مكانه في نفوس المسلمين وحياتهم لما انتصر في غزواته، ولما نمت حضارته وعمت ظلالها أرجاء العالمين[١].

أثر الوازع الديني في الإصلاح الفردي وترسيخ مفهوم الأمن النفسي:

الوازع الديني يتأصل على الاعتقاد السليم، والإيمان العميق، يرزق الله صاحبه ثباتًا على الشدائد، وصبرًا على النوائب مما يُكسب صاحبه أمانًا واطمئنانًا؛ لأنه متيقن بما وعده الله ورسوله وهذا ما أوضحه الله تعالي في قوله **{هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}** [الأحزاب: ٢٢].

ومن أهم مظاهر الأمن النفسي هو الثبات على الشدائد والصبر على المكاره، فهذا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو في الغار، والكفار قد وقفوا عنده، وأبو بكر، يرجف فؤاده، وتدمع عينه حذرًا على رسول الله، فيقول له النبي– صلى الله عليه وسلم–: "ما شأنك يا أبا بكر؟! " قال: "يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا"، فقال رسول الله تلك الكلمة الخالدة: "يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما"[٢].

---

(١) السيد، أحمد لطفي. الوازع بين الدين والقانون. مجلة التوحيد: جماعة أنصار السنة المحمدية. العدد: ٨، ١٩٨١م. ص: ٤٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم: باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. الحديث رقم: ٢٣٨١. ١٨٥٤/٤.

التوحيد والوازع الديني في مواجهة المشكلات الفكرية:

يعتبر الوازع الديني صمام أمان للمجتمع لا سيما الشباب الذي يستهدف بغزو فكري فتاك، والذي بات يستخدم كمعول لضرب الاستقرار الأمني والاجتماعي، حيث يقوم الدين بإمداد الجيل بوافر من العقيدة والقناعة التي تنشأ من وعي حقيقي لا باستخفاف العقول وتضليلها[١].

إن التحصين الفكري يحتاج إلى فهم ناضج لمنهاج الله كتابًا وسنة، وحماية الفكر من الآراء الفاسدة المخالفة لمنهج الله ورسوله؛ ولا يخفى عناية الإسلام بالتحصين الفكري والبناء الصالح لأفراد المجتمع بتقوية الوازع الديني وغرس الفضائل، وذلك من أسباب الوقاية من الانحراف الفكري؛ لذا وضع له التشريعات المحكمة، وبين ما لكل فرد فيها من حقوق وما عليه من واجبات، وأخبر أنَّ من صفات المتقين أنهم يجتهدون في بناء أسر صالحة، ويسألون ربهم أن يحقق لهم هذا المطلب العظيم، يقول تعالى: **{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}** [الفرقان: ٧٤].

استمدادا من الآية فإن الإنسان لا يكون قرة عين لأبويه، إلا إذا كان سوي الفكر، سوي الجسد، معتدلا على كل حال، فسألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم[٢].

---

(١) الشحود، علي بن نايف. موسوعة البحوث والمقالات العلمية. الشاملة الذهبية. ٤٠/٥.

(٢) عبد الحليم، جيهان الطاهر محمد. التحصين الفكري من البغي والخروج على الإمام في الفقه الإسلامي. مجلة الجامعة القاسمية للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد ٢، العدد: ١. ص: ١٦٨.

مفهوم المشكلات الفكرية: ميل الفكر ومخالفته للدين، وما يؤمن به من قيم وأخلاق، وميل عن الوسطية والاعتدال باتجاه التطرف سواء في التشدد أم التفريط، وقيل: هو اضطراب ذهني يوقع المرء في الخطأ – بانحراف: باعوجاج[١].

وعرفت المشكلات الفكرية بانحراف الفكر مما يعني خروجه عن جادة الحق والصواب؛ إما بالمبالغة في الغلو والتشدد والتنطع والتزمت في الدين، وفي سائر مناحي الحياة؛ مما قد يؤدي إلى العنف الفكري والإرهاب المسلح، أو بالتفريط والبعد عن الدين والقيم والثقافة الإسلامية، وفي شتى القضايا والمواقف؛ مما يؤدي إلى الانحراف والانحلال والتسيب؛ إذا الانحراف الفكري هو البعد عن الوسطية[٢].

فالمشكلات الفكرية مرض يدفع الإنسان إلى تصرفات خاطئة تسيء له ولمجتمعه، وتصل به إلى الاعتداء على الأنفس والأموال المعصومة، وهذه التصرفات السلوكية إنما هي آلية من آليات الانحراف الفكري؛ لأن الشباب يستجيبون لما يتأثروا به، فإذا ترسخت لديه فكرة أو تشبع برأي يعمل على تحقيقه بسرعة كبيرة وبدرجة عالية قد تصل إلى المغامرة[٣].

والفكر السليم أساس في بناء العقيدة الصحيحة عند الفرد، فأول أمر الاعتقاد يبدأ بالعلم والمعرفة، قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا**

---

(١) أحمد مختار. معجم اللغة العربية. ٤٧٥/١.

(٢) نبيل بن أحمد بن عبد الغني، وليد علي الطنطاوي. معالجات فكرية. مجلة مجمع: جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٩، ص: ١٨٣.

(٣) عبد العزيز سعيد عوض الحارثي. دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية في ممارسة الأساليب والوسائل الوقائية لحماية الشباب من الانحراف الفكري ودورها في تعزيز الأمن الوطني. مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف، العدد: ٢٥. ص:٨٩٩.

اللهُ} [محمد: ١٩]، ومما جاء في بيان مراتب لا إله إلا الله أنها أربع وأولها: علم، ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به، وثبوته)[١].

فالانحراف الفكري من أكبر التهديدات للأمن، فهو بداية الانزلاق إلى الهاوية والابتعاد عن الصراط المستقيم، ويكون الانحراف الفكري أخطر وأعظم الأثر عندما يكون باسم الإسلام ولكن الإسلام منه بريء، لعل من أهم التحديات التي تواجهها انتشار المجتمع الاسلامي لظاهرة الانحراف الفكر المعاصر، وبعيد عن نهج الاعتدال في الفكر الذي كان السبب المباشر لظهور الفتنة والصراع وتعدد المذاهب الفكرية والاتجاهات المنحرفة[٢].

ويترتب على المشكلات الفكرية ما لا يترتب على غيره في حياة الفرد وآخرته، فإن من أخطر صوره الانحراف العقدي المتمثل في الوقوع في الشرك الذي يترتب عليه حبوط العمل وعدم قبوله، ويترتب عليه تحريم الجنة واستحقاق النار، قال تعالى: **{إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}** [المائدة: ٧٢].

إذا أراد المسلم النجاة من المشكلات الفكرية الذي يهلكه في دنياه وآخرته فليعتصم بكتاب الله تعالى، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليرجع في فعله وتركه إلى سنة نبيه محمد، ولذا بيّن الله تعالى أن في طاعته سبحانه وطاعة رسوله محمد الفلاح والنجاة، وإذا أفلح المرء ونجا فإن ذلك هو مطلوب كل عاقل[٣]، قال الله تعالى:

---

(١) الحنفي، محمد بن أبي العز. شرح العقيدة الطحاوية. ٨٤/١.
(٢) الشناوي، دينا. الانحراف الفكري للشباب المصري. الاسباب والعلاج للباحثين، ٢٠١٨م.
(٣) السحيباني، عبد الحميد بن عبد الرحمن. الانحراف الفكري وأثره في الأمن في ضوء القرآن الكريم. مرجع سابق. ص:٤٥.

{ومَن يُطع الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تحتها الأنهار} [النساء: ١٣] وقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ١٦٩].

الوازع الديني وعلاقته بدرء المفاسد

إن الوازع الديني له علاقة بالمصالح والمفاسد فهو القدرة الذاتية لدى الفرد ليستطيع التحكم في سلوكه عن طريق الامتثال له وما تقتضيه المثل العليا، كما أنه يكون الضمير الحي المفعم بالمُثُل العليا الإسلامية في الإنسان المؤمن بها المطبق لها التي يُحكمها في كافة تصرفاته من قول أو فعل، وتربية الإنسان وتزكية فطرته على أسس التربية الإسلامية، وما يتفق معها من مفاهيم تربوية حديثة ومنجزات علمية وتقنية وثقافية بما يتفق والمثل الإسلامية ولا يتعارض معها وتربية الإنسان القادر على محاربة الجريمة بأنواعها فكريًا وعلميًا، ابتغاء مرضاة الله –عز وجل– وثوابه في الدنيا والآخرة، وذلك في ردع ذاته عن ارتكابها وتعاونه مع المعنيين في المحافظة على سلامة المجتمع وأمنه. (١)

ويوضح الزحيلي أهمية الوازع الديني في درء المفاسد بقوله: "وقد أدى وجود هذه النزعة الدينية أو الوازع الديني الداخلي إلى إضفاء صفة الهيبة والاحترام للأنظمة الشرعية، وإلى صيانة الحقوق بجانب النزعة

(١) سعادة، حسين ماني. الوازع الديني وعلاقته بمقاصد الشريعة الإسلامية. ص:٣٥٦.

المادية التي تلاحظها فقط القوانين الوضعية؛ لأن الشريعة ترعى الاعتبارين معًا: الاعتبار القضائي والاعتبار الدياني".[١]

وتتجسد خطة الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالتجريم والعقاب على أساس الحفاظ على المصالح الأساسية المعتبرة في الاسلام وهي: الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال، وهي المصالح الأساسية التي لا تستقيم الحياة الانسانية في المجتمع الاسلامي وغيره إلا بوجودها وصيانتها من الاعتداءات؛ ولذا كان الاعتداء على أي من هذه المصالح صغيرًا كان أم كبيرًا جريمة يعاقب عليها المعتدي بما يتناسب مع جسامة اعتدائه وخطورته من عقوبات.[٢]

(١) الزحيلي، وهبه بن مصطفي. الفقه الإسلامي وأدلته. دمشق: دار الفكر. ط٤. ٣٦/١.
(٢) العبد القادر، على بن عبد العزيز. دور الوازع الأخلاقي في توجيه السلوك الإنساني: استراتيجية مقترحة للتطبيق في مجال التربية والتعليم والإرشاد لمكافحة المخدرات. المجلة العربية للدراسات الأمنية. المجلد:٧، العدد:١٣. ١٩٩٢م. ص: ٩٦.

الخاتمة

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله تعالى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات بأن أتم عليّ نعمته بإتمام هذا الكتاب، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى التوحيد وإلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد..

فمن خلال ما سبق اتضح لنا جليًا أن التوحيد هو الأصل الأصيل والركن الركين والمتين لهذا الدين، فهو عبادة الله والاستعانة به والتوكل عليه، وان العاقة بينه وبين الوازع الديني علاقة تأثير وتأثر؛ وذلك لأن الوازع الديني نابع من تعاليم هذا الدين الحنيف القائم على الإيمان بالله -تعالى- ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يجب في حقه، وما يجوز له، وما يستحيل في حقه تعالى.

فالوازع هو القوة الرادعة المانعة من ارتكاب المنهى عنه، والوازع الديني حقيقة إيمانية ثابتة ومستقرة في النفس الإنسانية تراود المسلم وتدعوه إلى الاستسلام الله تعالى، والوقوف عند حدوده والعمل بما جاء في الكتاب والسنة من الأوامر والنواهي والتوجيهات والإرشادات، والفضائل الخلقية، وتدعوه إلى الامتناع والكف عما حرم الله، مذكرة إياه بالزواجر والروادع التي حفل بها الكتاب والسنة.

والوازع الديني محرك الضمير الإنساني الأخلاقي وهو قوة نفسية داخلية مقرها القلب تدفع الانسان لعمل الخير وتصده عن عمل الشر إذا آمن بالقيم والمبادئ والمثل العليا الاسلامية وحكمها في تصرفاته.

ويعد الوازع الديني ذا أهمية بالغة، إذ هو الدعامة الأولى في حفظ المجتمع ومصالحه، حيث إن صلاحه أو فساده مرتبط بصلاح الوازع الديني للفرد أو فساده، فهو إن هيمن على القلوب فإنه كاف –فضلًا عن الوسائل الأخرى– لتعزيز مفهوم التوحيد، وكان الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو الوقوف على دور التوحيد في تنمية الوازع الديني، والربط بين التوحيد والوازع الديني في جميع جوانب الحياة، وتأثير ذلك علي عاطفة الأفراد والقول اللين واعتباره عباده من العبادات التي تناسب العصر، وقد أسفر الكتاب عن عدة نتائج هي:

١. الوازع الديني قوة خفية في الإنسان تبدأ بالإيمان بالألوهية والتوحيد لله تعالي، الوازع الديني يغرس العقيدة في نفس الإنسان، ومن ثم تجعله كائنًا ذا ضمير حي، يراقب نفسه بنفسه ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره.

٢. إن تحقيق التوحيد له فوائد عظيمة وثمرات جليلة تعود على الفرد وعلى المجتمع بأكمله، مما يترتب عليه تعزيز ثمرات التوحيد وأثر ذلك على الفرد وعلى المجتمع، ويعزز مفهوم الوازع الديني داخل الأفراد.

٣. قرر المتكلمين نوعين فقط من التوحيد هما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، على أن تقريرهم لتوحيد الصفات لا يخلو من

انحراف أو بدعة؛ فكل فرقة من المتكلمين تقر من الصفات ما تستسيغه عقولهم وتنكر بقية الصفات – تنزيها الله زعموا والمتكلمون بذلك مخالفون لمنهج الكتاب والسنة.

٤. الوازع الديني حصانة شرعية للنفس تمتنع بها عن الإقدام على الفواحش والمنكرات، وتتهيأ بها لنهج طريق الطاعات وسائر الخيرات.

٥. يتضح دور وأهمية الوازع الديني في حياة الأشخاص المسلمين بكونه الغاية من الوجود لأن الله لم يخلق عباده في الدنيا الا بغرض التعبد، وتطابق وتظافر السلوك للفرد البشري مع معتقده أو تفكيره العقلي أي الانقياد التام لجميع الأخلاقيات أو المكتسبات الباطنية لثنايا النفس لهذا الوازع.

٦. التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة التي بعث بها محمد –صلى الله عليه وسلم–.

٧. وظيفة الوازع الديني تكمن في حراسة ومراقبة تنفيذ واحترام الأحكام الشرعية، والوازع الديني أساسه الاعتقاد السليم الذي يورث الخشية والخوف من الله، كما أن الوازع الديني يستند أيضًا إلى أصول خلقية وسلوكية موافقة لقصد الشارع.

٨. الوازع الديني غرسه الله ونماه في نفس المؤمن في كل حد من الحدود التي مضت معنا، بل في كل حرمة من حرمات الله عز وجل، لن تقرأ آية في كتاب الله، ولن تسمع بحديث عن رسول الله

–صلى الله عليه وسلم–؛ إلا وجدت إشارة تحكي ذلك المعنى الخفي العظيم.

٩. الوازع هو الطريقة المثلى لتحقيق المصالح وتطبيق الشريعة؛ لأنه قائم على الإيمان المطلق بمراقبة الله المطلع على كل ذلك والخوف، والرجاء، والتقوى، وغيرها مما يؤدي إلى تحسين الأداء.

١٠. الوازع الديني حصانة شرعية للنفس تمتنع بها عن الإقدام على الفواحش والمنكرات، وتتهيأ بها لنهج طريق الطاعات وسائر الخيرات.

١١. الوازع الديني نور من الإيمان يقذفه الله في قلب العبد، فينشرح له صدره، ويعمل بمقتضاه، وتلك هي الهداية والاستقامة على الطريق المستقيم، فالإيمان يتعلق ببناء الجانب العقدي والفكري وتنميته، ويتمّ بموجبه تكوين المفاهيم عن الوجود (الكون، والحياة، والإنسان) والموجِد، وعلاقة الوجود بالموجِد.

١٢. تتجلى أهمية الوازع الديني من خلال توطيد العقيدة الإيمانية الراسخة في نفوس الصالحين الطائعين القانتين، فالإيمان بالله عز وجل رأس كل فلاح، وأسَّ كل نجاح، فما أنزلت الكتب، ولا أرسلت الرسل إلا لأجل تقريره وتثبيته في النفوس.

١٣. الوازع الديني يعزز وظائف الوازع الأخلاقي في الحياة العامة، فالوازع الأخلاقي باعتباره قوة نفسية قادرة على توجيه السلوك الإنساني المبنية على مبادئ التوحيد، والمثل العليا ايمانًا وعلمًا وعملًا.

١٤. عقيدة التوحيد وهو الأمر الأساسي التي تقوم عليه دعوت الأنبياء، فالدعوة إلى الله عز وجل هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا عنه، وطاعتهم فيما أمروا.

١٥. هناك مجموعة من العناصر تتبني بناء الفرد المسلم في ضوء التوحيد والوازع الديني من خلال زيادة الوعي بالنفس، والصبر على الابتلاءات والتأخيرات، تنمية أسباب النجاح والفلاح وزوال الهم.

١٦. يعتبر الوازع الديني أساسا في تربية الشخصية المسلمة تربية قوية تتجلى فيها روح العبودية لله في كل نواحي الحياة، والشريعة الإسلامية ترتكز أساسا على الوازع الديني الذي يحمل على طاعتها والالتزام بها.

١٧. الوازع الديني يفعل في النفوس ما لا يفعله وازع القوة والسلطان، فإذا ألف المرء أن يستمع إلى صوت ضميره، وأن يراقب ربه ويخشى عقابه.

١٨. الوازع الديني يرسخ مفهوم الأمن النفسي من خلال الارتكاز على الاعتقاد السليم، والإيمان العميق، يرزق الله صاحبه ثباتًا على الشدائد، وصبرًا على النوائب مما يُكسب صاحبه أمانًا واطمئنانًا؛ لأنه متيقن بما وعده الله ورسوله.

١٩. الوازع الديني أساس مكارم الأخلاق، وانقياد الإنسان لمكارم الأخلاق يكون بالقانون أو السلطان أو برادع من المجتمع؛ لأن هذه المكارم تمثل التوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع الإنساني السوي.

٢٠. الوازع الديني أحد أساليب غرس الفضائل، وحماية الفكر من الآراء الفاسدة المخالفة لمنهج الله ورسوله وذلك من أسباب الوقاية من الانحراف الفكري.

٢١. الوازع الديني له دور بارز في درء المفاسد، وإضفاء صفة الهيبة والاحترام للأنظمة الشرعية، الوازع الديني له علاقة بالمصالح والمفاسد فهو يكون القدرة الذاتية لدى الفرد ليستطيع التحكم في سلوكه عن طريق الامتثال له وما تقتضيه المثل العليا.

المراجع

المراجع والمصادر

١. الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي. الآثار الإمام محمد البشير. تحقيق: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٧م.

٢. ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ت: جماعة من العلماء، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٩، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية.

٤. ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: عصام الدين الصباطي. القاهرة: دار الحديث. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تفسير القرآن الكريم، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٤١٠هـ.

٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧. ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع: محمد بن سعد الشويعر، السعودية: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، د.ط.

٨. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد السلام، التمرية، ت: محمد بن عودة السعودي، الرياض: مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التدمرية، ت: محمد بن عودة السعوي، الرياض: مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ت: محمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣. ابن حرز الله، عبد القادر، موفق، نبيل. مراتب الوازع وأثرها في تعميق فقه المواطنة. مجلة العلوم الإنسانية - جامعة محمد خيضر بسكرة. العدد: ٣٥، ٢٠١٤م.

١٤. ابن حميد، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، مكتبة طبرية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٥. ابن خزيمة، الصحيح، ت: محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.

١٦. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد في مقاصد التوحيد، الرياض: مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٧. ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٨. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م، ج٢ ص٧٤.

١٩. ابن عاشور، محمد الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تحقيق: محمد الظاهر الميساوي. الأردن: دار النفائس. ط١. ٢٠٠١م.

٢٠. ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء

الأمصار. تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢١. ابن عبد الوهاب، محمد، أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، ت: محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، مكة المكرمة – دار الحديث الخيرية، د.ط، د.ت.

٢٢. ابن عبد الوهاب، محمد، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، ت: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، د.ت.

٢٣. ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار العقيدة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٤. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة السفارينية، الرياض: دار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٥. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة الواسطية، السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط٦، ١٤١٢هـ.

٢٦. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر، ط٤، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٢٧. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، عقيدة أهل السنة والجماعة، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط٤، ١٤٢٢هـ.

٢٨. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، د.ط، ١٤١٣هـ.

٢٩. ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٠. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين شمس الدين، بيروت - دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
٣٢. ابن مسكوية، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. تحقيق: ابن الخطيب. مكتبة الثقافة الدينية. ط١.
٣٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٤. أبو الحسن، الندوي. ذا هبت ريح الإيمان. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١٠. ١٩٨٥م.
٣٥. أبو حاقة، أحمد. معجم النفائس الكبير. بيروت: دار النفائس. ١٤٢٨/٢٠٠٨م.
٣٦. أحمد بن حنبل، المسند، ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٧. أحمد، المرتضي الزين. كتاب التوحيد للإمام المجد محمد بن عبد الوهاب وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي. المملكة العربية السعودية: مجموعة التحف النفائس الدولية. ط١. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٨. الأزدي، عبد الله بن سيف. الوازع الديني وأثره في الحد من الجريمة. المملكة العربية السعودية: مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: ١٤٧. ١٤٣٠هـ.

٣٩. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي. ط١٥، ٢٠٠١م، بيروت.

٤٠. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط١، ٢٠٠١م.

٤١. إسماعيل، أبو عبد الرحمن أيمن، الأربعون العقدية، أربعون حديثا في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مصر: دار الآثار، ط١، ٢٠٢١م.

٤٢. الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. مفردات الألفاظ القرآن. دمشق: دار القلم. ط٢. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤٣. الأقهري، أبي الضياء نور الدين بن علي الشبراملسي. حاشية الشبراملسي مع نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٤. آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد. القواعد الحسان لتفسير القرآن. الرياض: مكتبة الرشد. ط١. ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٤٥. آل نواب، عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين. أساليب دعوة العصاة. الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. العدد: ١٢٣. ١٤٢٤هـ.

٤٦. البجيرمي، سليمان بن محمد بن عمر المصري الشافعي. تحفة الحبيب علي شرح الخطيب. دار الفكر. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤٧. البخاري، الصحيح، ت: جماعة من العلماء، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة السلطانية، ١٣١١هـ.

٤٨. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. القول السديد في الرد على من أنكر تقسم التوحيد. تحقيق: صالح بن فوزان الفوزان. الرياض: دار ابن القيم للنشر والتوزيع. ط١. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٩. البرق، زهرة عثمان. قلق الموت وعلاقته بضعف الوازع الديني. مجلة العلوم الإنسانية: ليبيا. العدد (١٥)، ٢٠١٧م.

٥٠. البغدادي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي. غريب الحديث. تحقيق: محمد عبد المعيد خان. حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية. ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٥١. البغدادي، عبد القادر، الفرق بين الفرق، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م.

٥٢. البغوي، أبو محمد الحسي بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٣. بن حميد، صالح بن عبد الله. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

٥٤. بن طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة. معالم التوحيد في فاتحة الكتاب. دار المأثور. رسالة دكتوره في التفسير وعلوم القرآن. ط٢. ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

٥٥. البوعلاوي، عبد الله. التوحيد: القيمة الحقيقية للوجود الإنساني. مجلة البيان، المنتدى الإسلامي. العدد: ٣٩٣. ٢٠٢٠م.

٥٦. الترمذي، السنن، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصر – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٥٧. التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، مصر: مطبعة السنة المحمدية، ط٧، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.

٥٨. التميمي، محمد بن خليفه بن علي. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات. الرياض: أضواء السلف. ط١. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٥٩. جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م.

٦٠. الجرجاني، أبو عبد الله الحليمي، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري. المنهاج في شعب الإيمان. تحقيق: حلمي محمد فودة. دار الفكر. ط١. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦١. الجرجاني، علي بن محمد الزين الشريف، التعريفات، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٦٢. الجزار، إسماعيل عبد الحميد. منهج الشريعة الإسلامية في علاج ظاهرة الفساد الإداري. مجلة البحوث القانونية والاقتصادية. العدد: ٧٥، ٢٠٢١م.

٦٣. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٦٤. الحسني، إسماعيل. نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالي للفكر الإسلامي. ط١.

٦٥. الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. الدمام: دار ابن القيم. ط١. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٦٦. الحنبلي، عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزريراني. ايضاح الدلائل في الفرق بين المسائل. تحقيق: عمر بن محمد السبيل. المملكة العربية السعودية. دار ابن الجوزي. ط١. ١٤٣١هـ.

٦٧. خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة، ط٨.

٦٨. خليل، عبد الحميد محمد عبد الحميد. الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. مجلة كلية الآداب. ٢٠١٨م.

٦٩. خير الله، محمد عبده بن حسن، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.

٧٠. الدرويش، عبد الرحمان بن عباد الله. الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية. ط١. ١٤١٠هـ.

٧١. الدوسري، عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله، الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، الكويت: مكتبة دار الأرقم، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧٢. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٧٣. الرازي، أبو عبد الله محمد لن عمر، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٢٢ ص١٢٧.

٧٤. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: جماعة من المختصين، الكويت، إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٥. الزجاج، إبراهيم بن السري، تفسير أسماء الله الحسنى، ت: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، د.ط، د.ت.

٧٦. الزحيلي، وهبه بن مصطفي. الفقه الإسلامي وأدلته. دمشق: دار الفكر. ط٤.

٧٧. زكريا، أبو بكر محمد. الشرك في القديم والحديث. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. ط ١. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٨. سابق، السيد. عناصر القوة في الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٣٩٨هـ.

٧٩. السبتي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسي بن عياض اليحصبي. إكمال المعلم بفوائد مسلم. تحقيق: يحيي إسماعيل. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٨٠. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد بشرح كتاب التوحيد، ت: المرتضي الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣.

٨٢. سعود، جبار عبد الوهاب، كاظم، طه ياسين. تنمية الوازع الذاتي. مجلة ديالي للبحوث الإنسانية. العدد:٣٥. ٢٠٠٩م.

٨٣. السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، العقيدة السفارينية، ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الرياض – مكتبة السلف، ط١، ١٩٩٨م.

٨٤. السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، لوامع الأنوار البهية، دمشق – مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٨٥. السيد، أحمد لطفي. الوازع بين الدين والقانون. مجلة التوحيد: جماعة أنصار السنة المحمدية. العدد: ٨، ١٩٨١م.

٨٦. السيف، سعود بن صالح بن محمد. الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) حياته وآثاره. المملكة العربية السعودية: دار العاصمة للنشر والتوزيع. ط١. ١٤١٥هـ. ص: ١٩.

٨٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٠هـ - ١٩٨٣م.

٨٨. الشكعة، مصطفى، إسلام بلا مذاهب، مصر: الدار المصرية اللبنانية، ط١١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٨٩. شلتوت، محمود. من توجيهات الإسلام. بيروت: دار الشروق. ط١. ١٩٨٣م.

٩٠. الشناوي، دينا. الانحراف الفكري للشباب المصري. الاسباب والعلاج للباحثين، ٢٠١٨م.

٩١. الشهراني، نورة محمد مشبب. الرد على المتكلمين في بيان معنى التوحيد دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة. مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية. المجلد: ٣٢، العدد ١٢٥، ٢٠٢١م.

٩٢. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مصر: مؤسسة الحلبي، د.ط، د.ت.

٩٣. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، لبنان – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٩٤. الصالح، محمد أديب. التقوى في هدي الكتاب والسنة وسير الصالحين. دار القلم. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠. ط١.

٩٥. ضروي، طاهر، مغراوي، محمود. منهج القرآن في تربية الوازع الديني. مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد ١٤ (٣)، ٢٠٢٢م.

٩٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٩٧. طنطاوي، أبو عبد الرحمن عرفة، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دار المأثور، ط٢، ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م.

٩٨. عبد الجبار. شرح الأصول الخمسة. ت: عبد الكريم عثمان. القاهرة: مكتبة وهبة. ط١. ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

٩٩. عبد الحليم، جيهان الطاهر محمد. التحصين الفكري من البغي والخروج على الإمام في الفقه الإسلامي. مجلة الجامعة القاسمية للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد ٢، العدد: ١.

١٠٠. عبد العزيز سعيد عوض الحارثي. دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية في ممارسة الأساليب والوسائل الوقائية لحماية

الشباب من الانحراف الفكري ودورها في تعزيز الأمن الوطني. مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف، العدد: ٢٥.

١٠١. العبد القادر، على بن عبد العزيز. دور الوازع الأخلاقي في توجيه السلوك الإنساني: استراتيجية مقترحة للتطبيق في مجال التربية والتعليم والإرشاد لمكافحة المخدرات. المجلة العربية للدراسات الأمنية. المجلد:٧، العدد:١٣. ١٩٩٢م.

١٠٢. عبد الوهاب، محمد، معنى كلمة لا إله إلا الله، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

١٠٣. عبدا الله، صلاح الدين حسن. الوازع الديني منبع القيم الأخلاقية. مجلة البحوث العلمية. العدد:٢، ٢٠١٦م.

١٠٤. العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٥. العساف، تمام عودة. الوازع الديني وأثره في درء العنف المجتمعي. دراسات علوم الشريعة والقانون. المجلد:٣٩، العدد: ٢٠١٢م.

١٠٦. العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٠هـ - ١٣٩٠م.

١٠٧. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. الفروق اللغوية. ت: محمد إبراهيم سليم، القاهرة - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ط.

١٠٨. عفيفي، عبد الرزاق. مذكرة التوحيد. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ط١، ١٤٢٠هـ.

١٠٩. عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١١٠. الغرياني، جمال محمد عز الدين. الوازع: أنواعه - مراتبه - مقاصده. مجلة العلوم القانونية، جامعة الزيتونة - كلية القانون ترهونة. المجلد: ٢، العدد (٤)، ٢٠١٤م.

١١١. فالح، عامر عبد الله، معجم ألفاظ العقيدة، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٢. فريد، أحمد. تزكية النفوس. الإسكندرية: الدار العالمية. ١٤٢٦م/ ٢٠٠٥م.

١١٣. الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، د.ط، د.ت، د.ن.

١١٤. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١٥. الفيلكاوي، حليمة إبراهيم. تأثير غياب الوازع الديني بين الزوجين على السلوك العدواني لأبنائهم طلاب المرحلة الثانوية بدولة الكويت. مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، المجلد ٣٥، العدد: ٣٥، ٢٠٢٢م.

١١٦. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. الأخلاق في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر. ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١١٧. القرضاوي، يوسف. الإيمان والحياة. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١٢، ١٦.

١١٨. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، وابراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١١٩. قطب، محمد: رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، دار الوطن للنشر، ط١، الرياض، (١٤١١هـ / ١٩٩١م).

١٢٠. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، التوحيد، ت: فتح الله خليف، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، د.ط، د.ت.

١٢١. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي، ت: مجدي باسلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٢٢. ماجوميدوفنا، سلغريوفا برلنت. لوازع وأثره في مقاصد الشريعة، رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م.

١٢٣. الماوردي، أبو الحسن على البصري، الأحكام السلطانية. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢٤. المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت - دار الكتب العلمية، د.ط.

١٢٥. مجموعة من المؤلفين. التعريف بالإسلام. قطر: مركز قطر للتعريف بالإسلام.

١٢٦. مجموعة من المؤلفين، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٢٧. مرشان، سالم محمد. فلسفة الأخلاق في الإسلام. ليبيا. مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية. العدد:٧، ٢٠٠٧م.

١٢٨. مسلم، الصحيح، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

١٢٩. مصطفي، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط. ط٢. ١٩٧٢م.

١٣٠. مطارید، رمضان محمد، بسيوني، محروس محمد، درويش، نبيل محمد. أصول الدعوة ومناهجها " دراسة تأصيلية تحليلية". ٢٠١٩م.

١٣١. المطلق، إبراهيم بن عبد الله. التدرج في دعوة النبي. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ط١، ١٤١٧هـ.

١٣٢. المقريزي، أحمد بن علي، تجريد التوحيد المفيد، ت: طه محمد الزيني، المدينة المنورة - الجامعة الإسلامية، د.ط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٣٣. موفق، نبيل. أثر الوازع الديني في رعاية وحفظ الأمن القضائي - القضاء والشهادة أنموذجًا. جامعة الوادي: مجلة الدراسات الفقهية والقضائية المجلد:٣، العدد: ٢، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

١٣٤. موفق، نبيل. رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. جامعة الحاج لخضر باتنـــة. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٣٥. نبيل بن أحمد بن عبد الغني، وليد علي الطنطاوي. معالجات فكرية. مجلة مجمع: جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٩.

١٣٦. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣٧. النعمان، أبو حنيفة، الفقه الأكبر، الإمارات العربية - مكتبة الفرقان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٣٨. النووي، أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٣٩. هارون، محمد جبريل فضل. أسباب ضعف الوازع الديني وغياب التفاعل التربوي للمعلمين بمؤسسات التعليم قبل الجامعي بولاية الخرطوم السودان. المجلة العلمية، المجلد: ٣٤، العدد:٢. ٢٠١٨م.

١٤٠. هاشم، أحمد عمر. الشريعة والمجتمع بين وازع الدين ووازع الضمير. مجلة جامعة الأزهر. ١٤٤٣هـ، ٢٠٢٢م.

١٤١. الهروي، القاسم بن سلام. غريب الحديث. تحقيق: محمد عبد المعيد خان. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٣٩٦هـ. ط١.

١٤٢. الهنداوي، محمد عبده. الوازع الديني وأثره في إصلاح المجتمع الإسلامي. التضامن الإسلامي. ١٩٨٠م.

دار السديمي للنشر و التوزيع

عنوان الكتاب	التوحيد و الوازع الديني
اسم المؤلف	عفراء بسام دجاني
رقم الإيداع	/ 2024
الترقيم الدولي	---
تاريخ الطبعة	2024
سنة النشر	2024

جميع الحقوق محفوظة

كل الحقوق محفوظة. ولا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، أو توزيعه، أو نقله بأي شكل ،أو بأي وسيلة، بما في ذلك التصوير، أو التسجيل، أو أي طرق إلكترونية، أو ميكانيكية أخرى، دون إذن كتابي مسبق من الناشر والمؤلف.